أحمد فؤاد نجم

خلاصة الكلام

خلاصة الكلام

هذا كتاب اقتصادي سياسي فني ثقافي رياضي، مكتوب بالفصحى وبالعامية حسب التساهيل.. وشمس الأصيل دهبت خوصي النخيل يا نيل.

فاجومية لا يعجبها العجب، ولا الصيام في شوال ورجب، صباعها مش تحت ضرس حد، والسبت عندها زي الحد ... تلوش أجعصها جعيص لو خرج عن حدوده، وتآكل المش بدوده، ولا تمدش أيدها لجنس لئيم ...

ما تخافش غير من اثنين: ربنا فوق وشعب مصر المحروسة تحت، وما تحبش إلا اثنين: أي غزال كحيل العين وأي كلام حليوة وزين.

فاجومية دابت رجليها وحفيت من اللف ما بين التحرير والعتبة وباب الخلق وروكسي والدقي وباب الحديد وعباس العقاد والموسكي وشارع فؤاد وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا الموحدة، واليورو، والين والدولار ... وسبع سواقي تنعى لم طفوا لها نار.

عموكو/ الفاجومي

أول الكلام

مر الكلام زي الحسام.. يقطع مكان ما يمر
أمّا المديح سهل ومريح يخدع صحيح ويغر
والكلمة دين من غير أيدين.. بس الوفا ع الحر

قصيدة البتاع

ياللى فتحت البتاع
فتحك على مقفول
لأن أصل البتاع
واصل على موصول
فأي شيء في البتاع
الناس تشوف على طول
والناس تموت في البتاع
فيبقى مين مسئول؟

وازاي حتفتح بتاع
في وسط ناس بتقول
بإن هذا البتاع
جاب الخراب بالطول
لأن حتة بتاع
جاهل غبي مخبول
أمر بفتح البتاع
لإنه كان مسطول
وبعد فتح البتاع
جابوا الهوا المنقول
نكش عشوش البتاع
وهد كل أصول
وفات في غيط البتاع
قام سمم المحصول
وخلاّ لون البتاع
أصفر حزين مهزول

وساد قانون البتاع
ولا علة ولا معلول
فالقاضي تبع البتاع
فالحق ع المقتول
والجهل زاد في البتاع
لا مقري ولا منقول
والخوف سرح في البتاع
خلاّ الديابة تصول

يبقى البتاع في البتاع
والناس صابيها ذهول
وان حد قال والبتاع
يقولوله مش معقول
وناس تعيش بالبتاع
وناس تموت بالفول
وناس تنام على البتاع
وناس تنام كشكول

آدى اللى جابه البتاع
جاب الخراب مشمول
لإن حتة بتاع
مخلب لراس الغول
باع البتاع بالبتاع
وعشان يعيش على طول
عين حرس بالبتاع
وبرضه.. مات مقتول

* * *

كلام المصطبة

(١)

قلت للصديقة الأمريكية – أستاذة الجامعة: هل ينوى الرئيس بوش فعلاً أن يوجه ضرباتٍ عسكريةً انتقاميةً إلى كلٍّ من أفغانستان والعراق واليمن ولبنان، وما قد يستجد حسب مزاج الإدارة الأمريكية؟!

قالت: هذا ما يبدو حتى الآن.

قلت: وما رأي الشعب الأمريكي في هذا؟

قالت: أنت تعرف أنّ الشعب الأمريكي واقع تمامًا تحت تأثير الإعلام الذي تسيطر عليه الدوائر الصهيونية في كل الولايات الأمريكية المتحدة وعلى وجه الخصوص واشنطن ونيويورك.

قلت: ولكن هذا الإعلام الأمريكي الصهيوني لا يعرف حتى الآن ما حدث بالضبط يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١، وبالتالي فهو لم يقدم أي دليل على تورط أي فرد أو جماعة أو دولة فميا حدث في اليوم المذكور. هل توافقينني على هذا؟

قالت: أوافقك مائة بالمائة.

ثم ضحكت وأردفت: خصوصًا بعد الاتهامات المضحكة التي وجهتها أجهزة الأمن الأمريكية إلى أشخاصٍ أتضح أنهم فارقوا الحياة منذ سنوات!

قلت: كما يحدث عندنا في قضايا أمن الدولة

وأضافت: ولا تنسى انتخابات مجلس الشعب.

قلت: اسمه"مجلس الأنس"..!!

تنهدت الصديقة الأمريكية –أستاذة الجامعة– وهي تقول: مأساة.

قلت: وأين المثقف الأمريكي؟

قلت: حول ماذا؟

قالت: لا أدري.. ومَن قال لا أدري فقد أفتى

قلت: واضح من التصريحات والتصرفات التي تصدر عن الإدارة الأمريكية أنها توجه الاتهام صراحةً للجماعات الإسلامية والدول التي تؤويها ومن هنا فأنا أتساءل: لماذا استثنت الإدارة الأمريكية دولة مثل انجلترا وهي من أكبر الدول إيواءً لهذه الجماعات؟

قالت: هذا سؤال مهم وذكي ولكني لا أملك الإجابة عليه

قلت: أنا أملك هذه الإجابة

قالت: أجبني

قلت: هذه ليست تجريدة بوليسية للبحث عن الفاعل، ولكنها حرب صليبية ضد الإسلام ومن يقول بغير هذا فعليه تقديم الدليل.

قالت: والنتيجة؟

قلت: أنهار من الدم سوف تُغرق العالم من أقصاه إلى أقصاه ولن ينجو منها أحد.. ولو كان الرئيس دبليو بوش شخصيًا.

(٢)

يبدو، والعلم عند علام الغيوب، أن الإدانة والشجب قد أصبحا هُما الخيار الاستراتيجي الوحيد أمام الأمة العربية، وأمجاد يا عرب أمجاد.

ففي كل وسائل الإعلام العربية وأنا أتتبع تفاصيل العملية الاستشهادية لعروس نابلس طالبة جامعة النجاح وأقترح أن نسميها"فلسطين". أقول.. وأنا أتتبع تفاصيل هذه العملية من خلال الصحافة والتليفزيون والإذاعة في كل بلاد العرب المستباحة، كنت ألتقي بالشجب والإدانة للعروس الشهيدة!

فالوزير أحمد ماهر الذي كان في عمان يجتمع هناك بالمسئولين سارع بالإدانة وبادر بالشجب قبل أن يتأكد الخبر، مخافة أن يسبقه في شجبه شاجب.

وفي أي بلد عربي من المحيط إلى الخليج ردد المسئولين صيحتهم المدويّة – نحن نشجب – نحن نُدين – حتى الرئيس المحاصر ياسر"أفندي" عرفات شجب وأدان.. ونحن صامتون!

وفي واشنطن المحروسة، هاج أفراد الإدارة الأمريكية وماجوا ووجهوا للعرب أسفل العبارات وأحط النعوت.. حتى مبعوث العناية الألهية – الذي تنتظره القيادة الفلسطينية كما ينتظر العطشان الماء والمريض الشفاء وتتوسل يومياً للرئيس دوبل بوش أن يسارع بإرساله للمنطقة، حتى تتوقف حمامات الدم في فلسطين المحتلة ويخضر غصن الزيتون وترفرف عليه حمامات السلام – حتى هذا المبعوث المدعو الجنرال أنتوني زيني فتح جاعورته وقذف منها أبذأ الكلام ووصف الشعب الفلسطيني بالإرهابيين ووصف القيادات الفلسطينية بالمافيا ووصف الرئيس الرهين بزعيم المافيا ووصف السفاح المجنون اربيل شارون بالأب الطيب!!

كل هذا النباح الكريه المنكر كان في وداع عروس نابلس التي أقترح أن نسميها"فلسطين".

وليكن صمت الشعب العربي من المحيط للخليج هو أنشودة الوداع للعروس الجميلة..

ولعنة الله عليك... يا أمة شجبت.

(٣)

كان الإمام الأعظم سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، له عبارة طالما قذف بها في وجوه المنافقين والمترددين من أصحابه ضمن خطبه البليغة العصماء التي حفظها لنا التاريخ مشكوراً: أذلّ الحرص أعناق الرجال!!

ولقد ظللت – على عشقي لكلمات أمير المؤمنين – أمرّ على هذه العبارة مرور الكرام دون أن أنفذ إلى عمق المعني الذي أراد الإمام أن يلخصه فيها، حتى قرأت هذه الواقعة:

في المرض الأخير لسيدنا عبد الله بن مسعود الذي كان من المغضوب عليهم في عهد الخليفة عثمان بن عفان –غفر الله له– زاره الخليفة في فراش المرض، ولما دخل عليه لم يستطع ابن مسعود القيام من رقدته للقاء عثمان فمنعه الخليفة من الاعتدال وجلس عند رأسه وسأله:

ما تشتكي يا عبد الله؟

قال ابن مسعود: ذنوبي يا أمير المؤمنين.

فصمت عثمان برهةً متحيراً ثم سأله: وما تشتهي يا عبد الله؟

قال: رحمة ربي.

فازداد عثمان حيرةً على حيرته وسأله: ألا ندعو لك طبيباً؟

فقال عبد الله على الفور: الطبيب أمرضني يا أمير المؤمنين؟

قال عثمان: ألا نأمر لك بشيءٍ؟

فأجاب رضي الله عنه: وما حاجتي اليوم بما منعته عني بالأمس؟

قال عثمان: تتركه لعيالك.

قال: لا عليك من عيالي يا أمير المؤمنين فقد علمتهم شيئاً إذا حفظوه لم يفتقروا لك ولا لسواك.

قال: وما هو يا عبد الله؟

قال" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

من قرأ كل يوم وليلة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً –صدق رسول الله–

وهنا أدرك عثمان أنه أمام نوع من الرجال لا يرهبه سيف المعز ولا يغريه ذَهَبُه.. هؤلاء الذين امتلكوا أنفسهم فامتلكوا نعمة الاستغناء عن الدنيا والناس – رضي الله عنهم ورضوا عنه.

هنا فقط أدركت مغزى عبارة أمير المؤمنين: أذل الحرص أعناق الرجال. وها أنذا أقول بملء الفهم: لبيك يا أمير المؤمنين.. لبيك يا ربيب الرسول وصهره.. لبيك يا أبا الحسن يا أسد الله.. يا باب مدينة العلم.. لبيك وسعديك.. وهل يرضيك الآن حال المسلمين.

(٤)

كان فيه واحد مواطن – ومن سوء بخته إنّي شفته بعيني أيام ما كان جاي من بلدهم حفيان وعدمان وخالي شغل وحالته تِصْعب ع الكافر لدرجة إنّي فكرت أسأله: أنت إيه يا بني اللى جابك من بلدكوا هنا.. وجاي تعمل إيه في هذه المدينة المتوحشة؟ ولقد بلغ اليأس بهذا الواحد المواطن أنه رمى بلاه على مؤلف فوازير في قناة الـ"إيه. أر. تى"، وادعى أنه صاحب الفكرة ويا إما يراضوه بقرشين يعيّد بيهم.. يا إما حيعمل لهم نوع من القلق يعطل المراكب السايرة، عملاً بمنهج المرحوم شمشمون الجبار"علىّ وعلى أعدائي يارب". ومن أجل تدعيم موقفه اتصل بي تليفونيًا وقال لي بالحرف الواحد: تحب تعيّد معايا في المنجهة والعلالي؟

قلت له: وانت إيه_الله لايقدر_اللي حيوصلك للمنجهة والعلالي؟

قال لي :العبقرية يا أبو النجوم..أناعندي فكرة فوازير واخد عليها

موافقة من الـ"ايه. آر. تي"، نقعد أنا وأنت نشوطها في ظرف ساعتين تلاتة وبعدها_ أبّجني يا حبيب العمر – والدنيا تحلو والمراكب تسير.

قلت: طيب إنت كاتب الفكرة دي في ورق؟

قال لي: ورق مين يا عم الحاج؟

وفوجئت بأنه بيشرح لي نفس فكرة الفوازير اللي بعتها لي الصديق عمار الشريعي لكي أكتب لها الاستعراضات والتتر والنهاية.

قلت له بمنتهي الدهشة: بس الفكرة دي بالضبط تحولت إلى فوازير جاري تنفيذها باسم مؤلف آخر وأنا الآن أكتب لها الاستعراضات.

قال لي: ولو.. أنا اللي كاتبها يعني أنا اللي كاتبها.

قلت له: وأنا مطلوب مني أيه دلوقتي؟

قال لي: أبدًا.. نشيل الاستعراضات من هنا نحطها هنا

قلت له: هنا فين؟ إنت عندك ورق مكتوب؟

قالي لي: شوف برضه حترجع تقولي ورق! آمال أنا جاي لك ليه؟ يا عم الحاج حوّل الفكرة اللي أنا قلتها لك إلى فوازير وحط لها الاستعراضات وأنا ح أوديها للمخرج اللي قاعد مستني.. وتوتة توتة فرغت الحدوتة.

قلت له: يا اااااه! ده إنت حكاية – وأنا اللي كنت فاكرك حتغرق في شبر ميه وترجع بلدكو كعابي.. ده إذا قدرت ترجع من أساسه.

قال لي: عيب يابو النجوم.

قلت له: فعلاً عيب ولو أن العيب في البلد دي بقى.. وجهة نظر.

(٥)

وروح يا زمان وتعال يا زمان.. واختفى الواحد المواطن من المشهد شيئًا فشيئًا كما يقول الإخوة النحاة.

والعجيب في الأمر أن اختفاءه لم يحظ منّي بأي اهتمام، كظهوره المفاجئ في حياتي تمامًا.. يعني كما قال صديقي الفنان لطفي لبيب حين سألته عن رأيه في إحدى الفنانات –بالعافية– التي شاركته بطول إحدى مسرحيات القطاع العام.

قلت له: هي فلانة الفلانية مشتركة معاكم في المسرحية؟

قال: وما تشتركش ليه؟ اشمعني هي؟

قلت له: وانت رأيك إنها بتعرف تمثل؟

قال لي: وإيه قيمة رأيي؟ هوّ أنا كان حد خد رأيي؟

قلت له: وانت عايزهم ياخدوا رأيك في إيه؟

قال لي: في أي حاجة بتحصل في البلد دي.

قلت له: إيه يا لطفي..!! أنت ليه عايز تلبسني في حيطة؟ أنا باسألك عن فلانة الفلانية؟

قال: طبعًا إنت عارف إنها اتطلقت من جوزها الثالث ودلوقتي ماشية مع...

وصرخت في وجهه: بس.. كفاية.. حرام عليك يا لطفي.. أنا باقولك

قال لي: بس بس... فهمت فهمت إنت بتسأل عن دورها في المسرحية.

قلت له: كده بالضبط.

قال لي: هي أساسًا مالهاش دور في المسرحية.. أو ما كانش لها دور في المسرحية.

قلت له: يا لطفي بطّل افترا على خلق الله.. ازاي ما كانش لها دور في المسرحية وازاي اشتركت فيها ومين اللي حاطط اسمها على الأفيش بالبنط العريض؟!

قال لي: أهو انت كده بقي اللي عايز تدخلني في السياسة.. ما هو لو صبر القاتل على المقتول كان مات لوحده.. ما انت لو سبتني أكمل لك هي ماشية مع مين كنت هرشت الموضوع من طقطق لسلامو عليكم.

قلت له: يا لطفي أنا مش عايز أهرش أي موضوع من أي نوع. أنا عايز أعرف رأيك في أداء فلانة على خشبة المسرح؟

قال لي: نسمة.. تخش وتخرج ولا حد يحس بيها.. نسمة.

قلت له: شكرًا هو ده المطلوب.

(٦)

لم يمض على نبوءتي كثيرًا حتى فوجئت بالواحد المواطن التعبان الهفتان العدمان يطل على العالم من شاشة تليفزيون جمهورية مصر العربية.

وحسك عينك يا عزيزى القارئ يا خويا إنك تتصور الأستاذ تعبان هفتان طالع في دور سنيد أو كمالة عدد زي اللي بنشوفهم من خلال برامج النصب والجوايز اللي هجمت على مصر المحروسة زي الجراد الأصفر والعياذ بالله.. كلا وألف كلا.. دا طالع من خلال قناة رئيسية وبيقدم برنامج ضخم بيستضيف من خلاله أبرز أهل السياسة والاقتصاد والثقافة ويناقشهم في أعقد وأهم مشاكل الوطن!!!

الأول فضلت أحقق وأدقق وأمقق في خلقته؟ لقيته هو بشحمه ولحمه.

قلت في عقل بالي: يا واد أنت بتحلم.

قرصت نفس جامد! حسيت بالقرصة واتأكدت إن أنا صاحي. فِضلت أفرك في عيني يمكن برضه.. هوّ هوّ.... بيني وبينك يا عزيزي القارئ يا خويا أنا لم أندهش من قدرته على الوصول إلى مخ الإعلام الرائد بعد ما تأكدت من قدراته الاستثنائية في موضوع فوازير ال"إيه. آر. تي".. إنما اللى أصابني بالدهشة والازبهلال هو: مين اللي أولاً صاحب فكرة البرنامج اللي بيقدمه؟ ومين اللي منحه الفرصة للظهور في هذه المساحة العريضة من فترة البث الرئيسية ومن خلال قناة رئيسية.. برضك؟!

وفِضلت أضرب أخماس في أسداس في محاولة مستميتة لحل لغز هذا الكائن الأسطوري وطرحت على نفسي مجموعة من الأسئلة:

يكونش اتكعبل في واحدة من اياهم فاتوسطت له؟

يكونش اشتغل شماشرجي عند واحد من رجال الأعمال؟

طب ما يمكن الواد ده في الأساس موساد إسرائيلي ومتنكر في هيئة مواطن مصري؟

بيني وبينك دماغي كان حيضرب.. وأخيراً شفته بالصدفة من خلال البرنامج المشبوه بيناقش الانتفاضة الفلسطينية من موقع المسئولية!! وبيبدى تحفظاته –أي والله العظيم تحفظاته– على العمليات الاستشهادية لأطفال فلسطين الكبار..!! وكان رأيه أنّ الاستشهاد ما يكونش عمّال على بطّال وقال بالحرف الواحد:

– ما أنا كمان ما أقدرش أدّي شيك على بياض لكل من هب ودب يروح يفجّر نفسه ويعطّل لنا عملية السلام!

عرفتم السفاح شارون جايب كل الغطرسة اللي بيعاملنا بيها منين؟

(٧)

واتفرج يا سلام على عالم القرود.. والليل الليل يا ميمون.. والفرجة مجانًا.. وفتح عينك تاكل ملبن.. ولسه اللي يعيش ياما يشوف واللي يمشي يشوف أكتر!

قال الفيلسوف الشعبي اللي كان بيكمل عشاه نوم:

زمان أيام عزبة القرود، كان فيه مدارس لتعليم القرد كل الألعاب اللي تبسط الزباين وتجلب"الأُبيّج".. ورزق الهبل ع المجانين.. وكانوا القرداتية القدام بيطبقوا نظرية –اضرب المربوط يخاف السايب– في تعليم السادة القرود. وكانت أدوات المعلم القرداتي عبارة عن مِعزة وعيّل وسكينة حامية. يدخل بيهم الفصل.. وقيام.. تعظيم سلام.. جلوس، وتبدأ الحصة هكذا: قوم يا واد يا بلبل فرجنا على رقصة كذا.

فيقوم الطفل بأداء الرقصة. بإتقان وحين ينتهي يحتضنه المعلم ويمنحه قطعة شيكولاته. ثم يسحب المعلم المِعزة من الحبل المربوط في رقبتها ويطلب منها أداء نفس الرقصة. وبطبيعة الحال لا تستجيب المعزة فيسحب المعلم السكينة ويذبحها على مسمع ومرأى من التلاميذ –القرود– ثم يطلب من الطفل أداء لعبة أخرى، فيقوم الطفل –المدرَّب– بأداء ما طلبه الأستاذ بكل براعةٍ وإتقان فيتكرر الاحتضان وقطعة الشيكولاته. ثم ينظر المعلم للدارسين من القرود ويختار منهم واحدا يطلب منه أداء ما رآه. والقرد بطبيعته حيوان مُقلد.. فيقوم القرد بأداء ما طلب منه ببراعة وربما يضيف من عنده ابتغاء مرضاة السيد المعلم الذي يمسح على رأس القرد الشاطر ويعطيه الشيكولاته/ المكافأة. ويتجه إلى غيره من الدارسين ويطلب منه تنفيذ لعبة أخرى قد يكون الطفل قد أدّاها أمام الطلبة – القرود– وهكذا يتعلم قطيع القرود ازاي يمشي على العجين ما يلخبطوش.

والليل الليل يا ميمون.. وينبسطوا الزباين ويطلعوا الأُبيّح. ويُقال والعهدة على الراوي أن مؤخرة القرد حمراء بسبب عدم قدرته على التحكم في المحبس الخلفي من شدة الخوف من مشهد المِعزة الذبيحة الذي يظل يلازمه مدى الحياة.

وهكذا فعل المعلم بوش القرداتي، فرقص الجميع وعملوا نوم العازب وضربوا شقلبظات.. وبعضهم عمل ألعاب ما حدش طلبها منه خوفًا على أرصدته المهرّبة أو خوفًا منه على مقعده حتى لا ينتزع منه ويتحول إلى مسخرة بعد العز والأبهة.. وهو أيضًا متأكد من أن المنافقين الذين حولوه إلى نصف إله هم الذين سيقودون موكب الفضيحة.

(٨)

في الانتخابات البرلمانية المصرية التي أشرفت عليها حكومة محايدة برئاسة"حسين سري باشا" سنة ١٩٥٠، ونزولاً على رغبة الشعب جاء حزب الوفد برئاسة"مصطفي النحاس باشا" إلى سدة الحكم بناءً على حصوله على أغلبية كاسحة وأسطورية.

فقد كان عدد مقاعد مجلس النواب ٣١٩ مقعدًا تنافس على الحصول عليها قرابة عشرة أحزاب سياسية معلنة، فاز الوفود منها بـ ٢٩١ مقعدًا وترك الثمانية والعشرين مقعدًا الباقية للمستقلين وباقي الأحزاب!

وفي رأيي أن الصحافة الحرة التي كانت أنذاك هي العامل الرئيسي أو أحد العوامل الرئيسية التي جاءت بالوفد إلى الحكم على هذه الصورة المدهشة وعلى غير هوي من الحلف الشيطاني الذي يضم الملك والإقطاع والإنجليز وكان على حكومة الشعب. كما كانوا يسمونها آنذاك –أن تدخل مباشرةً في معركة حياة أو موت ضد الفسد والاستعمار. وكانت صعوبة المواجهة في كون القصر الحاكم هو المصدر الرئيسي للفساد، وتحولت تجاوزات أفراد الأسرة الحاكمة إلى حواديت ونكت يتداولها الشارع المصري بصوتٍ

مسموع، وفقد الملك مصداقيته ومبررات وجوده وأصبح يشكل عبئًا على عرش مصر الذي تجري من تحته الأنهار كما وصفه القرآن الكريم على لسان فرعون موسى عليه السلام.

وتسابقت الصحافة الوطنية في نقل نبض الشارع المصري إلى صدر صفحاتها الرئيسية وبدأنا نقرأ"رعاياك يا مولاي" تحت صورة لمجموعة من المواطنين يأكلون من أكوام الزبالة – كما يحدث الآن في مساكن الزلزال بالمقطم– وأخذت الشعارات الشعبية تتصاعد على صفحات الصحافة الوطنية –آنذاك– حتى وصلت إلى حد السباب والقذف العلني في شخص وأفراد أسرة الجالس على عرش مصر المحروسة.

وكأي قصر من قصور الحكام في شتى مراحل التاريخ الإنساني كان هناك المتسلقون الذين لا عمل لهم إلا تخويف السلطان من الشعب بنقل واختلاق الأخبار المدسوسة والنكت التي يتداولها الشارع في نقد السلطان وأسرته وبطانته!

وفي منتصف أحد الأيام عاد النحاس باشا إلى منزله لتناول الغداء فأبلغوه أن القصر ينتظر منه اتصالاً هاتفيًّا فقام الرجل بالاتصال فورًا.

وقال له الملك: أترك غداءك وتعالَ اتغدى معي للأهمية القصوى. فتوجه رئيس مجلس الوزراء إلى قصر عابدين حيث تناول غداءه مع الملك، وبعد الغداء كان رئيس الديوان الملكي يقدم له وجبة أخرى من الصحافة التي تهاجم جلالته بمنتهي القسوة فأخذ يتصفحها وهو بادي التوتر ولكنه وهو الزعيم الشعبي والقاضي السابق فَطِن إلى اللعبة القذرة فانتفض واقفًا وهو يصرخ: مش ممكن! دا شيء زايد عن الحد.. أنا ح اطربق الدنيا على دماغهم.. أنا ح القنهم درس في الأدب.

واتسعت الابتسامة الصفراء على وجه صاحب الجلالة وهو يسأله:

– حتعمل معاهم إيه؟

وأجاب القاضي العادل والزعيم العظيم بلا تردد:

– ح أبلغ النائب العام!

وابتلع جلالته ابتسامته الصفراء!

(٩)

أشهد بأن التليفزيون المصري (المعوق) دائمًا ما يأخذ بتلابيبي ويثبتني أمامه طوال يوم السادس من أكتوبر من كل عام، والحق ما شهدت به الأعداء.

كان العنصر الأساسي الذي سحرني مشدوهًا وأعانني على احتمال رؤية هذا الصندوق اللعين طوال هذا الوقت هو الأفلام التسجيلية لبعض لحظات ملحمة العبور العظيم –إنجاز العرب الأكبر– في التاريخ المعاصر.

(الله أكبر الله أكبر)

صعد هذا النداء الخالد إلى عنان السماء، بينما كان أبناء مصر البواسل يقتحمون خط بارليف كالإعصار ليقولوا للعالم وللتاريخ أن ما حدث في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ لم يكن هزيمة لنا ولا نصرًا لأعدائنا.. فقط إنها الخيانة والغفلة من قادة تلك المرحلة المظلمة من التاريخ الحديث لمصر المحروسة.. وأنها غير قابلة للتكرار.

وعلى الجبهة الداخلية اتخذت الفرحة القومية عدة أشكال.. فمثلاً تؤكد وثائق وزارة الداخلية عدم وقوع أي جريمة طوال فترة الحرب في أنحاء مصر من أقصاها إلى أقصاها بما في ذلك المخالفات التموينية!! وتستقبل مكاتب السجل المدني مجموعة جديدة من الأسماء التي أطلقها المصريون على مواليدهم في تلك الفترة..

على سبيل المثال أطلق مواطن مصري بسيط في باب الشعرية على مولوده اسم"سام ٦" نسبة إلى الصاروخ الروسي الذي تحوّل في أيدي أبنائنا إلى شبح مميت بالنسبة للطائرات والدبابات الصهيونية المتطورة، حيث حوّلها إلى ركام وانقاض على رمال سيناء المقدسة.

وفي المنوفية أطلقت فلاحة مصرية على مولودتها اسم"ميج" نسبة إلى الطائرة الروسية المقاتلة التي كسر بها نسور مصر ذراع إسرائيل الطويلة وأحالوا سماءها إلى جحيم يمطر الموت واللهب.

وأنا أطلقت على ابنتي الجميلة الطيبة المولودة في صبيحة يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٧٣ اسم"نوارة الانتصار" – حفظها الله ورعاها– هي وجيلها الذي لم يع أيام المجد والنصر.

كل التحية لأبنائنا صانعي أكتوبر المجيد.. وسلام على شهدائنا الأبرار الذين لم يبخلوا بالروح عندما دعا داعي الجهاد.. والمجد والخلود لمصرنا المحروسة بأفئدة المصريين.

(١٠)

– هل تحكم أمريكا العالم بقانون الطوارئ الساري المفعول منذ عشرين عامًا في مصر المحروسة؟

– الآن أستطيع الآن أوافقك على هذا.

– ولماذا الآن بالذات؟!

– لأن ما يحدث الآن ليس له تفسير إلا في ظل قانون الطوارئ.

– وهل رأيت الفتي بلير فارس بني قحطان؟

– نعم رأيته ملء السمع والبصر في التليفزيون المصري المحترم.

– ولكن.. لماذا رفضوا استقباله في المملكة العربية السعودية؟

– ولماذا استقبلناه هنا في مصر وأقمنا له الدنيا ولم نقعدها حتى كتابة هذه السطور؟

– والله كل واحد وظروفه بقى..

– واحنا بقى ظروفنا إيه بالصلاة على حضرة النبي؟

– وِدَا بمناسبة إية إن شاء الله؟

– بمناسبة سبعة وعشرين رجب أو ثمانية وعشرين أكتوبر أو تسعة وعشرين برمودة.. يعني أي حاجة وما تبقاش لحوح وغِتت لأن الظرف مش مستحمل..

– يعني أَغْني دولة في العالم مجرجرة وراها امبراطورية سابقة ورايحة تضرب أفقر دولة في التاريخ والعالم كله فرحان ومزأطط وبيقول ربنا ينصر أمريكا واحنا مع أمريكا! ولسه بتقول لي الظرف مش مستحمل يا أخي عنه ما استحمل.

– أفهم من كده إنك مش خايف؟

– ح أخاف على إيه يا حسرة؟ اللي بيجيب لي المشاكل الله يقطعه.. واللي يعرف أبويا يروح يقول له.

– كده حتخليني أقول عليك إنك مع الإرهاب.

– لو كنت مع الإرهاب يا فالح كان عجبني اللي بيحصل في العراق وفسلطين المحتلة وأفغانستان.

– وهوّ اللي حصل في نيويورك وواشنطن يوم ١١ سبتمبر مش إرهاب؟

– إرهاب ونص.. لكن مين اللي عامله؟

– طبعًا بن لادن.

– عنك دليل؟

– مش الأمريكان بيقولوا كده؟

– وهو كلام الأمريكان ده تنزيل من عزيز عليم؟

– استغفر الله.. طبعًا لا.

– آمال إنت ليه صدقتهم؟

– بصراحة بصراحة.. أنا خايف ومش عايز مشاكل.

– آنست يا محترم.

(١١)

والآن.. ما رأي السادة ملوك ورؤساء الدول الإسلامية والعربية؟

لم يعد يمضي يوم دون أن تعترف المؤسسة العسكرية الأمريكية بأن سلاح الطيران الأمريكي قد ضرب بطريق الخطأ مواقع مدنية.. تشتمل دائمًا على المستشفيات بوجهٍ خاص! ودون كلمة اعتذار!!

ولم يمضي يوم دون سقوط عشرات المدنيين في فلسطين المحتلة برصاص جنود الاحتلال وقذائف المدفعية والدبابات.. وكلما سقطت دفعة من الشهداء الأبرار يجدد السفاح المجنون أرييل شارون شروطه المجحفة ويضيف إليها شروطًا مجحفة أخرى.

ثم يخرج علينا أكثر رؤساء الولايات المتحدة غباء وأكثرهم عنجهية بتصريحات أقل ما توصف به أنها متناهية في البلطجة.

ولسنا ندري ماذا جرى بينه وبين الصهيوني بيريز في الاجتماع المغلق بينهما في واشنطن حتى يخرج علينا بتصريحاته هذه التي يطالب فيها ياسر عرفات بتسليم كل من يروّع إسرائيل للسلطات الصهيونية بقيادة السفاح شارون!!

هل بعد هذا جنون؟

ثم أين هو الإرهاب الذي تضربه أمريكا في أفغانستان؟ وأين أسامة بن لادن؟

وإذا لم تعثر أمريكا وأذنابها – وهذا هو الأغلب – فإلى متى تستمر حرب الإبادة هذه ضد المسلمين والمسيحيين والفقراء في فلسطين وأفغانستان؟

وما هو موقف رجال الدين مسلمين ومسيحيين من هذا الذي يجري في ظل العولمة وسيادة وتسلط أمريكا منفردة على مقدرات العالم؟

وما هو الموقف من المجازر الوحشية التي ترتكبها حكومة الصين ضد المسلمين هناك؟

لقد تكشفت الأمور وسقطت ورقة التوت عن عورة هذا العالم المُدان من قمة رأسه إلى أخمص قدمه. هذا العالم المتآمر على الفقراء والمؤمنين ليس بالدين الإسلامي ولا المسيحي فقط، ولكن بأي فكرة تحمل الخير والحب لهذا العالم الذي مزقه سعار رأس المال وجشع تجار السلاح.

والآن لم يعد السكوت ممكنًا.. لأن السيل كما يقولون قد بلغ الزبى، والانفجار الكوني قادم لا محالة..

وإذا كان الملوك والرؤساء العرب والمسلمون"حيقضوها تصريحات" فسيكونون الوقود الأول للحريق.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

(١٢)

لطالما تعرض الإسلام الحنيف لعمليات التحريف والتشويه الدنيئة والمعروفة باسم الإسرائيليات.. نسبة إلى أحبار بني إسرائيل الذين يحقدون على الإسلام الذي كشف زيفهم وفضح خستهم كأعدى أعداء الإسلام والمسيحية أيضًا.

بسم الله الرحمن الرحيم"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ".. إلى آخر الآية الكريمة من سورة المائدة.

ومنذ عصر أمير المؤمنين السلطان الأعظم وخاقان البرين والبحرين سليم الأول العثماني، لم يَسْلم الإسلام من العبث التركي المفضوح الذي لا يقل دناءة عن عبث بني إسرائيل!!

وليسد صدفة أن ترتبط تركيا المسلمة بحلف غير مقدس من الكيان العنصري الصهيوني ضد جميع الدول الإسلامية والعربية وتشجيعه على تحويل القدس –مدينة السماء– إلى كيبوتز صهيوني تمارس فيه الدعارة والفسق تنشيطًا للحركة السياحية! ولعل أصدق تجسيد للفهم التركي للإسلام هو النكتة المصرية القديمة التي تقول:

سأل الخادم المسلم سيدة الباش أغا التركي:

– ممكن يا باش أغا غير المسلمين يدخلوا الجنة!

– طبعًا مش ممكن يا خرسيس.

فسأله:

– طيب ممكن يا باش أغا المسلمين يدخلوا الجنة؟

فقال الباش أغا بمنتهى الثقة:

– ممكن مسلمين فقراء فقط أدخل جنات.

فقال الخادم:

– واشمعني المسلمين الفقراء فقط يا باش أغا؟

فأجاب الباش أغا:

– يا حمار يا خرسيس، مين غير مسلمين فقراء أكنس جنات أمسح جنات أفرش جنات في انتظار قدوم حظرتنا؟

وأخيرًا وليس آخرًا.. واستمرارًا لمسلسل الهطل التركي صدرت فتوى رمضانية شديدة الغرابة تجيز شرب الخمر من بعد الافطار إلى ما قبل السحور! كما تجيز رفع الأذان بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية وبكل اللغات الحية غير اللغة العربية.. بشرط أن يترجم ترجمة أمينة. وحرمتْ الفتوى العجيبة أكل البصل والثوم قبل صلاة التراويح، كما حرمت الذهاب إلى المسجد بملابس قديمة أو غير نظيفة.. لأن الصلاة في هذه الحالة تصبح لاغية!

والحمد لله إن السلطان سليم الأول مات من زمان.. وإلا كان حوّل هذه الفتوي إلى فرمان همايوني يسري على المسلمين في كل بقاع الأرض.. ماذا وإلا.

وكل عام وأنتم بخير

(١٣)

يا اااااااه..!!

أخيرًا خرج شاعر العامية المصرية الدكتور محمود عبد الظاهر عن بروده وهدوئه القاتل وانفعل بالأحداث، بعد أن استوعب ما يجرى على أرض فلسطين المحتلة. فكتب هجاء مستحقًا في السفاح القذر أرييل شارون قاتل الزهور والأطفال..

الذي حدث بعد ذلك أن الفنان محمد الحلو قرأ الهجاء فأعجبه فقام بتلحينه وقدمه إلى جهاز الرقابة على المصنفات، فرفضت النص بكل إباء وشمم حرصًا منها على سلامة الذوق العام! تصوروا؟

وكتبت الرقابة على المصنفات حيثيات الرفض فجاءت مضحكة كما هي العادة، وكما هو متوقع من هذا الجهاز العجيب الذي ما زال قائمًا مع قانون الطوارئ متحديًا كل الأصوات الوطنية التي بحّتْ من الصراخ والنداء بحرية الإبداع المطلقة في مصر المحروسة إذا كنا بالفعل نريد اللحاق بركب الحضارة الإنسانية، بعد ما تخلفنا عنه كثيرًا بفعل الخوف من الرقابة على حرية النفس التي فرضها علينا نظام العسكر المشولي سيئ الذكر والسمعة.

ولكن غير المتوقع بالفعل هو هذا المقال القمئ الذي لا يحمل توقيعًا والمنشور بالعدد رقم ٧٩٠ من مجلة تصدر بالقاهرة بعنوان"السينما والناس".. حيث يستهل الكاتب الشبح مقاله بعبارة تقول:"ونحن مع الرقابة"!

لكن من نحن؟ هذا ما لم يجرؤ كاتب المقال على توضيحه. ثم يتساءل بأستذة: هل يصبح محمد الحلو شعبان عبد الرحيم آخر؟؟ ثم يرتكب كاتب المقال المضحك خطيئة عمره حين يتصدى للتنظير والمقارنة بين الأغنية والمونولوج، فتكتشف أنه –اللهم لا حسد – يتمتع بقدر غير مسبوق من الجهل والسطحية.

وأنا أشك في أن كاتب هذا الهراء واحد من اثنين: فإما أن يكون هو الرقيب ذات نفسه.. وإما أن يكون ارزقيًا مأجورًا.. قبض فكتب!

وعلى أي حال، وأيا كان كاتب هذا الكلام الفارغ فإن مجرد نشره يؤكد حقيقة مريرة تطالعنا كل صباح مع باعة اللبن وعناوين الصحافة التي تتحدث عن المذابح التي يرتكبها الأمريكان والصهاينة ضد فقراء المسلمين في فلسطين وأفغانستان.

هذه الحقيقة المريرة هي أن الخيانة أصبحت وجهة نظر!

بقيت كلمة أوجهها بحب إلى إدارة تحرير مجلة السينما والناس: لو ألزمتم كل من يكتب عندكم بالتوقيع على ما يكتب، فلا أعتقد أن مثل هذا المقال –المؤامرة– كان يمكن نشره.

(١٤)

في كتيب متناهي الصغر أعدة الصديق الجميل جلال الجميعي وأصدرته الثقافة الجماهيرية تحت عنوان –قراءة في دفتر الوطن– قرأت شكوى الفلاح الفصيح في عهد الملك نيكاو – رع إلى رينسى كبير الأمناء.. ويا سبحان الله.

قال جدنا المظلوم العظيم:

"يا كبير الأمناء يا شريفي.. إنّك أكبر العظماء وأغنى الأغنياء إن للعظماء فيك عظيمًا أعظم وللأغنياء فيك غنيًّا أغنى.. إنك دفة السماء وسارى الأرض وحبل الميزان. فيا أيتها الدفة لا تنحرفي.. ويا أيها الساري استقم.. ويا أيها الميزان لا تمل. هل أبحتم لشريف أن يسلب رجلاً ليس له ولي؟ وينهب رجلاً ليس معه أحد؟ إن الموت يدرك الغنيّ ومن في كنفه على السواء. فهل أنت حيٌّ خالد؟ أليس من القبح أن تميل الموازين وتختل المعايير؟ وأن ينقلب العادل القويم خبيثًا؟ انظر: العدالة طريحة على الأرض بعد أن طردت من مقامها العالي! فكبار الموظفين يأتون السيئات ويحيد القوم عن الطريق السوي.. ويسرق القضاة.. ثم ماذا.

إن الذي ينبغي أن يأخذ المسيء قد جانب الطريق السوى! والذي ينبغي أن يهب الأرواح قد بات لا أنفاس له في الأرض! والذي ينبغي أن يقسم بالعدل قد أمسى سارقًا! والذي ينبغي أن يقضي الحاجات قد أنزل الحاجات بالناس حتى عم العوز المدنية!! إنك تملك أرضًا في القرى.. ولك أملاك وبيوت.. ولك زاد في مخازن الزاد.. ويعطيك كبار الموظفين فتأخذ!أ فلا يجوز أن تكون لصًا. إنك كمدينة لا حاكم لها.. وجماعة لا سيد لها.. وسفينة لا رئيس فيها.. وفرقة لا قائد لها. إنك كحامي المدينة الذي يسرق.. وأنت الحاكم الذي ينهب.. وأمير سلط على عصابات الإجرام فأمسى مثلاً أعلى لهذه العصابات.

يا كبير الأمناء يا شريفي – إن ألسنة الناس موازينهم فلا تكن بطيئًا في العدل.. ولا تتحيز.. ولا تطع قلبك.. ولا تدر وجهك عن شخص تعرفه. ولا تنهر من أتاك مستجيرًا".

رحمة الله على جدنا المظلوم العظيم.. عليه السلام.

(١٥)

الوزير الفنان – معالي فاروق باشا حسني– غرقان لشوشته في احتفالات دار الأوبرا المصرية بأي شيء وبدون مناسبة. وهو يظهر كثيرًا في التليفزيون"متسبسب" وعلى سنجة عشرة.. متورد الوجنتين طافح البشر ضاحك السن.. مش عارف ليه؟!

يكونوا مخبيين عليه اللي بيحصل؟

جايز..

لكن الضحايا ما بطلوش يبعتوا شكاوي في رسائل مسجلة بعلم الوصول لمعاليه منذ حوالي عشر سنوات! ولا من مجيب يكون مكتبة بيستلم هذه الرسائل ويحولها على سلة الزبالة؟

طب لصالح مين؟ وهل معقول أن يصل الفساد الإدارى إلى مكتب وزير بمواصفات الفنان فاروق باشا حسني؟

لا لا.. بتضحك.. طب آمال إيه؟

٢٨٠ مواطنًا مصريًا هم مجموع العاملين في السيرك القومي تقدمهم وزارة فاروق باشا حسنى فريسة سائغة لوحوش السيرك القومي التي لا تكف عن التهام أطرافهم واحد بعد الآخر.. وكان آخرهم المواطن سليمان عاشور الذي التهم النمر محسن رجله

اليسرى في غفلة من معالي الوزير الفنان فاروق باشا حسني المشغول بالحفلات التي يحضرها أصحاب الفرح ويصورها التليفزيوم.. فيقوم هو يطلع في الصورة! مش تقول لي سيرك وحيوانات وناس مبتورين الأطراف.

ويقول ضحايا المستقبل من العاملين بالسيرك القومي أن مرتباتهم مضحكة وحوافزهم تضل الطريق إليهم ولا يعلمون أين"تذهب هذا المساء".. ويضيف الضحايا أن سوء حالة السيرك القومي بخيمته المتهالكة وملابسه الأثرية وقذارته القاتلة هي السبب في عدم إقبال الجمهور – وهو الممول الرئيسي– الذي يمكن إدارة السيرك من صرف بدل المخاطر والعدوى للعاملين.

ويطالب ضحايا المستقبل بمساواتهم بالحيوانات التي تلتزم وزارة معالي الوزير الفنان فاروق باشا حسني بتغذيتها والمحافظة على حياتها من خلال عقود مبرمة مع وكلاء الحيوانات!

ويقول مدير السيرك القومي (المواطن المصري) محمد أبو ليلة أن وزارة الثقافة تنظر إلى السيرك القومي بعين العداء لأنها تعتبره ابناً غير شرعي لها.. ولذلك فهي تطبق عليه مضمون المثل الشعبي"اصبر على جارك السو.. يا يرحل يا تجيله مصيبة".

وأنا أضم صوتي لضحايا المستقبل وهم ينشدون أغنية:

"حنانيك يا فنان يا مدلع الحيوان.. الرحمة بالإنسان حنانيك يا.. فنان"

(١٦)

مع رحلة النهر العظيم انطلق هذا الفتي الجنوبي –رزيقي حلمي– في اتجاه العاصمة التي لا هي مَنْف ولا طيبة.. ولكنها قاهرة المعز لدين الله الفاطمي بنت الألف عام، وذات الألف مئذنة ومئات الأبراج – ذات الأجراس – حيث يلتصق الصليب بالهلال في وحدة عضوية أعيت الزمن وأدهشت العقول.

وإذا كانت العائلة المقدسة قد اختارت مصر المحروسة لتحتمي بها من بطش وشر السفّاحين القتلة.. فإن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام قد اختارها واصطفاها ليتخذ منها الجند الكثيف.. فهم خير أجناد الأرض لأنهم في رباط إلى يوم القيامة.. كما جاء في الحديث الشريف.

وإذا كانت هذه الأرض الطيبة المباركة هي التي أنجبت اخناتون أول الموحدين وقائد الثورة الاجتماعية الأولي في التاريخ المكتوب.. فإنها عادت وأنجبت الفلاح الفصيح.. فلاح النيل الذي صرخ في وجه الفرعون الحاكم يشكو الظلم وينشد العدل والمحبة والسلام قبل أن توجد أوروبا على الخريطة وقبل أن تعرف الإنسانية معنى وقيمة السلام.

والترحال في قصائد هذا الجنوبي الفصيح – رزيقي حلمي– هو السمة الأساسية، وفي رأيي أنها سمة تؤكد وتعمّق فكرة"هنري بريستد" العظيم واكتشافه النبيل الذي يؤكد أن فجر الضمير قد بزغ منذ آلاف السنين هنا وعلى ضفاف هذا النهر الخالد.. وليس في أي مكان آخر على كوكب الأرض.

ورزيقي حلمي هو ابني الذي احتضنته منذ أن كان يحبو على بلاط ديوان الشعر..

عشر سنوات أو تزيد مرت الآن على لقائي بهذا الشاعر، وبالأمس فوجئت به يزورني في مسكني بمنطقة الزلزال بالمقطم ليقدم لي وليده الأول بكل فخر"الحكم آخر الجلسة"..

وقد ذكرني هذا الموقف النبيل باليوم السعيد الذي صدر فيه ديواني الأول"صور من الحياة والسجن" سنة ١٩٦٢.

والذي جرب هذه الفرحة بالمولود الأول هو خير من يعرف فضل الأم ويقدر عظمتها حين تتحمل متاعب الحمل تسعة شهور عجاف ثم تكابد آلام المخاض في سبيل أن تهب الحياة مولوداً جديداً.. رحمة الله عليك يا أمي العزيزة الغالية وبارك الله في كل الأمهات.

أما أنا.. ففخور بولدي – رزيقي حلمي – الشاعر الوليد.

(١٧)

أثارت أحداث الثلاثاء الدامي (١١ سبتمبر) في نيويورك وواشنطن موجة عارمة من الرعب داخل الولايات المتحدة الأمريكية، التي طالما صدّرت الرعب والموت للعالم. وخصوصاً الدول والشعوب الفقيرة التي تحولت إلى حقل تجارب لمصانع السلاح في

أمريكا وغيرها من الدول الكبرى. وكان من الطبيعي أن يتسرب الرعب والهلع من قلب أمريكا إلى أذنابها المنتشرين في شتّى بِقاع الأرض.. فيتحول بعضهم إلى أراجوزات تثير الضحك، كوزير داخلية تركيا التعيسة الذي ظهر على شاشات التليفزيون والإنترنت في زفة مضحكة ليعلن على العالم بكل فخر أن قوات الأمن التركية بقيادته قد نجحت أخيراً في القبض على شقيق أسامة بن لادن الذي تصفه جميع أجهزة الإعلام في العالم بأنه (المشتبه الأول)، كما قالت واشنطن عليها السلام!

وإذا تركنا المشتبه الأول وعدنا إلى المقبوض عليه في تركيا، فسنجده مجرد طالب جامعي قد يكون أخًا للمشتبه الأول وقد يكون لا يمت له بأية صلة.. ولكنه في النهاية مجرد مواطن يدرس في الجامعة ولا يحتاج القبض عليه لأكثر من مخبر يقتاده من قفاه إلى حيث يشاء كما يحدث في أي دولة من دول العالم الثالث.

وإذا تركنا وزير داخلية تركيا وزفته المضحكة واتجهنا إلى قلب أوروبا فسنجد أراجوزاً يرتدى القبعة والردنجوت هو رئيس وزراء بريطانيا – العظمي سابقًا – توني بلير الذي لم يتوقف عن الهذيان والتهديد والتلويح بقبضته الفارغة منذ يومها وحتى الآن. وفي المؤتمر الأخير لحزب العمال الحاكم في بريطانيا وقف هذا الأراجوز –المسخة– يهدد ويتوعد جماعة طَالِبان الحاكمة في أفغانستان ويخيرها بين تسليم المشتبه الأول وبين البقاء على قيد الحياة من عدمه!

وكان يمكن لهذه المسرحية الهزلية بأن تنتهي بهذا المشهد التراجيدي لولا أن وقف النائب اليساري المخضرم –توني بن– ليضع نهاية محترمة بخطابه الشجاع المحترم الذي ندد فيه بهذه الهستيريا التي اجتاحت العالم بلا عقل ولا تفكير.. ثم أكد ضرورة موافقة مجلس الأمن الدولي على أي عمل مسلح تقوم به أمريكا ومن يدور في فلكها ضد ما يسمي بالإرهاب.. ثم طالب الأمم المتحدة بأن تقدم للعالم تعهداً بتجنيب الأجيال القادمة ويلات الحروب. ثم طالب الولايات المتحدة وبريطانيا بالتوقف الفوري والتام عن القصف الظالم للعراق. ثم فجر قنبلته الأخيرة بأن طالب بإقامة الدولة الفلسطينية دون إبطاء..!! فانفجرت القاعة بالتصفيق والصراخ الهستيري.

ثم قال وهو ينهي خطابه التاريخي الرائع بأنه قد يكون الخطاب الأخير – لاقدر الله – لأن العالم يحتاج إلى مليون توني بن في ظل طغيان وجبروت المؤسسات العسكرية وأجهزة الاستخبارات التي تقود الحياة إلى الموت واختفاء الخضرة في تلافيف الرمال والهجير.

(١٨)

الخواجة بوش الصغير"انهبل يا مينز"..

بعيد عن السامعين والحاضرين.. بيقول إنه حيدمر الكون حبًا في سواد عيون اليهود اللي كانوا محاوطينه وهو نازل دش وكأنه سكران طينة بعد ما شرب من دم المسلمين حتى الثمالة في أفغانستان وفلسطين المحتلة.. وعلى رأي المثل الشعبي المصري البليغ"العافية هبلة"..!!

وإذا كان تهديد بوش الصغير بسحق وإبادة منظمات الكفاح المسلح يقع في دائرة اختصاصه كواحد من عتاة الاستعماريين المجرمين، فإن تهديده بتكميم أفواه البشر وسحق أي فكر معادٍ للفكر الصهيوني الاستعماري يمنحه اختصاصًا إضافيًا هو"الرقابة على المصنفات".

وأدى رئيس أمريكا يا ولاد.. والمثل الشعبي بيقول:"قالوا يا فرعون إيش فرعنك؟ قال ما لقيتش حد يردني!".

يعني لو كان أي صوت شريف ارتفع في وجه هذا الطاغية وهو رايح يضرب الشعب الأفغاني –اللى مش لاقي ياكل– بدون أي ذنب ولا أي دليل على تورط بن لادن أو غيره فيما حدث في واشنطن ونيويورك في ١١ سبتمبر الماضي.. كان على الأقل قبل ما ينفلت عياره يحاسب على كلامه اللي أثبت بالفعل أن العالم لا يزيد عن مجموعة من النعاج لاهَمّ لهم إلا الأكل.. و"طظ" في روسيا والصين والاتحاد الأوروبي.. و"طظ" في العرب والمسلمين.. وأكبر"طظ" في السمك والرز..!!

لكن يا محتار الدنيا مش دايمة والزمن دوار.. وأكم من جبابرة وطغاة.. وأكم من دول دالت وعروش زالت وفضلت الأرض على ما هي عليه، حبالة ولادة تشرب دموع السما وتولد الخضرة والفرح، ويخطر الإنسان عليها عريس يزوق الحياة بالفن والإبداع..

وأثناء ما باكتب هذا الكلام في صباح العيد ارتفع صوت النشيد الخالد الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله أكبر.. ولله الحمد.. الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.. لا إله إلا الله.. وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده.. اللهم صلّي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيرا.. لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه.. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله أكبر.. ولله الحمد..

قلت: صدق الله العظيم

فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. وغداً تضمحل الحضارة الغربية وتزول كما زالت سواها.. فهل يتبقي منها مثل هذا النشيد؟!

(١٩)

في كتاب المطالعة الرشيدة بتاع زمان كانت قصص الأطفال تتناثر على الصفحات من الجلدة للجلدة وكان من أبرز هذه القصص وأهمها قصة"الذئب والحمل".. التي تقول بالبلدي ما معناه أن الديب جاع في يوم من ذات الأيام فخرج من جحره ورا رزقه، وأثناء سيره في الغيطان لمح الخروف – اللي هو الحمل– واقف بيشرب ع القناية.. فانطلق تجاهه بأقصى سرعة وعمل نفسه بيشرب من نفس القناية. فالخروف قال في عقل باله: ابعد عن الشر وغني له.. وحب ينسحب قبل ما يكمل شربه وفوجئ بالديب بيقول له:

– إيه ده يا حيوان إنت؟ مش تحاسب؟

ورد الخروف بمنتهي الأدب:

– أنا لا سمح الله صدر مني أي تصرف ضايق سيادتك.

– أيوه.. إنت عكرت عليّا الميه.. أشرب ازاي أنا؟

ووضع الخروف على وجه ابتسامة وهو يقول:

– ما عشت ولا كنت لو عملت كده يا فندم.. ويبدو أن سيادتك منفعل شوية وما لاحظتش إن الميه جيه من عند سيادتك.. يعني سيادتك في العالي وأنا في الواطي. يعني حتى لو أنا عكرت الميه يبقي لازم تكون سيادتك واقف بعدي عشان لا قدر الله توصلك الميه العكرة. ولم ييأس الديب فقال له:

– أنا باشبه عليك.. أيوه أيوه مش إنت ياد اللي شتمتني السنة اللي فاتت وجريت دخلت غيط الدرة؟ ومن يومها ما ظهرتش إلا دلوقت؟

– السنة اللي فاتت ازاي يا حضرة الديب.. دنا مولود السنة دي بس.

– يبقى أبوك.

– والدي متوفى يا فندم عقبال أعداءك.

– إنت حتحيرني ليه؟ يبقى حد من قرايبك.

– بس أنا ما ليش قرايب من أساسه يا فندم.

– يعني مقطوع من شجرة.. يبقى موتك أحسن.

وهجم الديب الجعان ع الخروف الغلبان قرقش عضمه من غير دليل اتهام وفي النكتة الشعبية.. أن القط"بسبس" طلع يصطاد فيران بعد الجوع ما قرص عليه، فقابل الفار"مدبولي الحزين" وسأله: إنت اسمك إيه ياد؟

فقال الفار بمنتهى الخشوع:

– أنا محسوب محاسيب سيادتك فلان الفلاني.

قال له بلهجة استفزازية:

– ميت نيلة يا سيدة عليك وعلى عيلتك وعلى البلد اللي حدفتك علينا.

– الله يديم عز سيادتك. لأننا جميعًا عايشين في خير المرحوم والدك"بسبس باشا" رحمة الله عليه.

– إنت من أنهي داهية؟

– أنا حضرتك من عزبة الجحور اللي كانت عايشة في كنف المرحوم جد سعادتك"تونو باشا بس".

– وإيه اللي حدفك على هنا؟

– سعادتك.. أنا جيت طاير مع فراشات الربيع اللي جذبها عطر النسيم اللي طالع من بساتين الكرم والشهامة المحيطة بمنزل سعادتك ومنازل الأسرة الكريمة أسرة (بس بس نونو) اللي صنعت تاريخ المملكة القططية على طول الزمان.

وضحك القط"بسبس" ضحكة الغدر وقال له:

– أهي لماضتك دي هي الله حتخليني أكلك.

وهب للنبي.. في ظرف ثانية كان عضم الفار بيطقطق تحت أنياب القط بس بس بدون أي اتهام!!

وحتاخدنا الحواديت دي للي بيحصل هذه الأيام في هذا العالم العجيب.. عالم الديابة والخرفان، والقط بسبس ومملكة الفيران.

يعني مش حينفع النفاق ولا معسول الكلام مع الديب الأمريكاني الجعان. ومش حينفع بيع المبادئ والتخلي عن الدين والعقيدة أمام وحش جعان ومصمم على العدوان.. لكن الحتمية التاريخية بعدم دوام الحال هي العلاج الناجع والوحيد.

باستنظرك

رغم القساوة ف منظرك
لحظة هروبك يا رباب
م الحب لما استنصرك
باستنظرك
باستنظرك
باستنظرك

رغم الشتا والبرد
والرعد المخيف
باستنظرك
في الشارع المشغول
بأوحال الرصيف
أنا أصْلِي حاسب موعدك
وعارف اللي بيبعدك
وأنا اللي خابر
تبقي مين
وأنا اللي صابر من سنين
وبأعد لك بالثانية عمري
وأعد لك مطرح في بستان الأمل
وبأمد لك
إيدي اللي شققها العمل

مدي الخطاوي يا حبيبتي وقدمي
وإن كنتي خايفة من الطريق
اتبسمي
يا شمس يا للي ضحكتك
قمر ينور سكتك
أنا اللي عشقك عزني
وانت اللي عشقي يستتك

باستنظرك
يا جرحي
يا حلمي العنيد
باستنظرك
يا مصر يا حبي الوحيد
وهاتيجي يوم وتصدقي
عشقي الأصيل وتحققي
حلمي الجميل وتزوقي
عمري اللي ضاع مستنظرك
باستنظرك
باستنظرك
باستنظرك

* * *

ليه عزيز

(١)

كان الفنان الكبير الراحل زهدي العدوي واحدًا من رواد فن الكاريكاتير الصحفي المصريين الذين نقلوا هذا الفن عن الأرمن الذين بدأوه في الصحافة المصرية.

وكان"أبو الزهازة" أو –الزعيم – على رأي الأستاذ نبيل الهلالي أحد الحكماء الذين لا يشق لهم غبار، إلى جانب كونه يتمتع بصوت جميل صقله بالغناء خلف صديقه الشيخ زكريا أحمد شيخ الملحنين – والحكائين– أيضًا.

ولقد أسعدني الحظ وجمعتنى بالزعيم زنزانة واحدة في ليمان أبي زعبل ولمدة ثمانية شهور بدأت في يناير سنة ١٩٧٧ على أثر انتفاضة الشعب المصري التي سماها الرئيس السادات – سامحه الله – انتفاضة الحرامية. وكان لتسكيني في زنزانة ٩ بالعنبر الجديد بليمان أبي زعبل قصة بدأت بترحيلي من ليمان طره على أثر اصطدامي بإدارة السجن وإضرابي عن الطعام الذي استمر حوالي أسبوعين حتى أجيب مطلبي وهو الترحيل إلى أي سجن آخر بعيدًا عن اللواء"ح.ز" مدير سجن طره الذي كان يقبض مرتبه من مصلحة السجون ويتلقى تعليماته من مباحث أمن الدولة!!

وحين وصل إخطار وصولي إلى ليمان أبي زعبل طلبت مباحث أمن الدولة من اللواء إبراهيم مصطفي مدير المنطقة المركزية لسجون أبي زعبل عدم تسكيني مع الطلبة تفاديًا للمشاكل! واقتنع اللواء إبراهيم مصطفي بهذه الفكرة فاستدعي المرحوم زكي مراد المحامي وشرح له الأمر وقال له أن الحل هو تسكيني في زنزانة ٩ مع الماس –الكبارة– الذين هم ١– الأستاذ نبيل الهلالي ٢– الأستاذ زكي مراد ٣– الأستاذ إبراهيم عبد الحليم ٤– الأستاذ فاروق ثابت ٥– الأستاذ رشدي أبو الحسن ٦– الأستاذ عبد اللطيف الحنفي ٧٠ المهندس عبد الرحيم الكريمي ٨– الأستاذ المرحوم عبد المنعم القصاص.. وأخيرًا وليس آخرًا الأستاذ زهدي العدوي أبو الزهازة أو الزعيم كما سماه أحمد نبيل الهلالي محامي مصر العظيم.

وحين وصلنا إلى بوابة سجن أبي زعبل قابلنا الصول محمد عوض وندە على أسمائنا وكنا حوالي ١٤ سجينًا سياسيًا ثم نده على أسمي منفردًا وقال: إنت مطلوب في مكتب المدير.

ثم اصطحبني إلى مكتب مدير المنطقة المركزية اللواء إبراهيم مصطفي الذي كنت أعرفه وهو برتبة نقيب في سجن قراميدان سنة ١٩٥٩ حيث كان نائبًا لمأمور السجن.. وكان معروفًا عنه أنه لاعب كرة سلة دولي وكان عضوًا في فريق مصر الذهبي – فريق حسين منتصر والبير تادرس وأبو عوف... إلخ–

وهذه صفة يفخر بها أي مواطن أيًّا كان موقعه الاجتماعي.. ولكن اللواء إبراهيم مصطفي كان يفخر بأنه يعيش ويربي أولاده على مرتبه فقط من مصلحة السجون وحين التقيته في ليمان أبي زعبل بعد أن أصبح برتبة جنرال كان يفخر إلى جانب نظافة يده بأنه لم يشارك في تعذيب أي مسجون سياسي سواء كان من الإخوان المسلمين أو من الشيوعيين وجلست في مكتب اللواء إبراهيم مصطفي أحتسي الشاي الذي طلبه لي تكرمًا وحفاوةً فقال لي فجأة.

طبعًا أنا مش عايز أقول لك أني اتمني لك إقامة سعيدة هنا.

فضحكت وقلت له:

طبعًا ولا أنا عايز أسمع منك الكلام ده ولو سبيل المجاملة.

فقال: أنا كل اللي أقدر أقدمه لكم كمساجين رأي أني في حدود اللوايح أجيب لكم كافة

حقوقكم بما يرضي ضميري.

(٢)

وبعد احتساء الشاي – الملكي– افهمني اللواء مصطفي إبراهيم بأنه قرر تسكيني في الزنزانة رقم ٩ ليس نزولاً على أوامر مباحث أمن الدولة ولكن لصواب الفكرة وتجنب ما قد يحدث من مشاكل في حالة وجودي في زنازين الطلبة خصوصًا أنه كان يتوقع أن تطول فترة حبسنا لأن ما حدث يومي ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ كان بمثابة الزلزال الذي طاح بمجموعة من المفاهيم

والقيادات الأمنية وأن الرئيس السادات حوّل المسألة إلى ثأر شخصي بينه وبين جميع فصائل اليسار السياسي في مصر المحروسة وعلى وجه الخصوص التنظيمات الشيوعية والشيوعيين المصريين فضحكت وقلت: يثاب المرء رغم أنفه.

ولم يعلق الرجل ربما لأنه لم يفهم قصدي وربما لأنه أراد إنهاء المقابلة والمشكلة التي قامت برفض بعض الزملاء لفكرة تسكيني معهم بحجة أنني –ولد فوضوي– ومتطرف سياسيًا ومكاني الطبيعي في زنازين الطلبة والشباب المتحمس. وقررت أنا أن أرى هؤلاء الناس –بالمقلوب.

ليه بقى سيادتك؟

عشان يمكن أشوفهم صح.

طب أتفضل..

وبمجرد دخولي الزنزانة –فرشت نمرتي– وهوب للنبي ضربت شقلباظ بقت دماغي تحت ورجليا فوق مسنودين على الحيطة وبدأت أتفرج على الزملاء سكان المكان الذين صمتوا مذهولين، ودرت ببصري على الوجوه التي حفر الزمان خطوطه على قسماتها بفجاجة وقسوة. ولقد أحسست بمكتعة الاكتشاف وأنا في هذا الوضع الغريب!

وفوجئ الجميع بالزعيم"أبو الزهازة" ينفجر ضاحكًا ويقول لي: أهلاً وسهلاً حصل لنا الشرف يا كبنش..!!

قوم بقى.. وبحركة بهلوانية رحت ضارب سقلباظ وقفت تاني وقلت لزهدي: واحد اصلع اتزحلق في قشرة موز وقع على دماغه اتزحلق وقف تاني.!

ضج جميع من في الزنزانة ٩ بالضحك، وبدأت حياتي مع العواجيز لمدة ثمانية أشهر متواصلة في ليمان أبي زعبل الشهير اقتربتُ خلالها من أحمد نبيل الهلالي المحامي العظيم والابن الوحيد الباشا – نجيب الهلالي– آخر رئيس وزراء في العهد الملكي الذي انتهي في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ليبدأ بعده ما نحن فهي الآن!! تحت دعوى الثورة على الظلم الطبقي والفساد الحكومي! وتحرير فلسطين! وإقامة حياة ديمقراطية صحيحة!!

وكذلك عرفت عن قرب زكي مراد المحامي ابن أحد أغنياء النوبة الذي خطفته فكرة العدالة الاجتماعية من طبقته وواقعة الاجتماعي وقذفت به إلى النضال والسجون والاضطهاد والفروسية في الزمن الخصب!

وكذلك عرفت عبد المنعم الغزالي أحد أفراد أعجب أسرة سياسية في مصر المحروسة فشقيقه سيف الدين الغزالي الوفدي الذي قاد المظاهرة الشهيرة في تشييع جنازة مصطفي النحاس باشا ودخل بسببها السجن وشقيقته الحاجة زينب الغزالي الزعيمة الإسلامية التي دخلت المعتقل ضمن جماعة الإخوان المسلمين أما هو فعضو منظمة –حدتو– كبرى المنظمات الشيوعية في المنطقة العربية وجرى اعتقاله أكثر من مرة بتهمة الشيوعية.

(٣)

اكتشفت بمرور الوقت في زنزانة"٩" أن الزعيم أبو الزهارة ينتمي إلى نوع من البشر جاء إلى الدنيا ليعطي فقط دون حساب الربح والخسارة ويجد سعادته ومتعته في هذا العطاء. كان رحمه الله يصحو في الصباح ليبدأ الرسم.. رسم جميع المسجونين الجنائيين في العنبر الجديد بليمان أبي زعبل وكان يعطي المسجون صورته وهو ينظر إلى وجهه وحين ترسم الفرحة على ملامح صاحب الصورة كانت السعادة تكاد تقفز من عيون الزعيم قبل أن يقول جملته المعتادة:

– ياللا يا كبنش.. عقبال صورة الإفراج أو الجواز أو الطلاق!

ثم انتقل الزعيم إلى شاويشية العنبر وصف الضابط فرسمهم، ثم رسم الضباط والمأمور ومدير المنطقة، ثم رسم منشآت السجن من الداخل ثم رسم جميع الزملاء والسياسيين فيما عدا العبد الفقير! وبيني وبينك أنا كنت ح ابيض عشان يرسمنى لكنه كان يعاكسنى دايمًا حين يقول للمرحوم عبد المنعم القصاص بصوت مسموع:

– ساعدني يا منعم.. أنا اصلي ما بارسمش كبنشات

وبالفعل رسم لي المرحوم عبد المنعم القصاص صورة زيتية شديدة الجمال وحين قال له المرحوم زكي مراد:

– بس إنت راسمه كده وهوّ عنده عشرين سنه مثلاً

قال: أنا شايفه كده

وضحك الزعيم وقال:

– وأنا شايفه أعيل من كده

وانتهزت الفرصة فقلت لزهدي:

– طب ما توريني إنت شايفني قد إيه

فضحك وقال:

– بعينك.. برضه ما بارسمش كبنشات

وكان أبو زهارة ينهي حصة الرسم ليتناول طعام الغداء ثم يبدأ حصة الصناعة التي ينتج من خلالها مجموعة جميلة متنوعة الأشكال والأحجام من الأباجورات التي كان يهديها للزملاء والذين يمارسون القراءة ليلاً وكان الزعيم يسميهم – الجماعة بتوع الليل وآخره– وفي الفترة التي قضيناها معًا في ليمان أبي زعبل الشهير تعلمت الكثير من هذا الإنسان الرائع والفنان الجميل. وكان زهدي حين يرسم (بورتريه) لأحد الزملاء الشباب كان يقيم معنا في زنزانة"٩" بحجة أنه يريد التفرغ لتحضير رسالة الماجستير ووجوده في زنازين الطلبة لا يعطيه الهدوء المطلوب! والحقيقة أن هذا الزميل لم يستطع طويلاً أن يخفى شخصيته لأن السجن يسقط الأقنعة ويكشف المستور من خلال تصرفات الإنسان أثناء الأكل وأثناء النوم وأثناء الحديث وحتى أثناء وجوده في دورة المياه! لأن هذا الزميل كان يجاورني فقد تصورت أنني الوحيد الذي اكتشفت سلوكياته التي تتناقض تمامًا مع مزاعمه التي يعلنها بصوت جهوري وفصاحة منحته مقعد الزعامة وعصا الريادة في التنظيم الذي ينتمي إليه والذي يجمع مجموعة من أنقي وأخلص وأنبغ الشباب في جامعة مصر المحروسة ولقد كنت أكتم ملاحظاتي على هذا الزميل وأخفيها عن باقي الزملاء.. وذات صباح فوجئت بالزعيم يلصق على الحائط صورة رسمها لهذا الزميل مع أنه لم يفعلها من قبل والحق أنني لم أدقق النظر في الصورة وكان اليوم هو موعد زيارتي فنزلت إلى غرفة الزيارة وعندما عدت من الزيارة إلى العنبر ثم إلى زنزانة"٩" وجدت على فرشه الزميل المجاور لي الشاعر زين العابدين فؤاد فسلّمت عليه وسألته:

– حتحط نمرتك فين؟

فقال لي:

– ما هيّ دي نمرتي.

– أمال فين فلان؟

– فلان انتقل أوضه تانية حسب طلبه.

وتوجهت ببصري إلى الصورة فعرفت السبب

(٤)

اتضح من خلال المعايشة في ليمان أبي زعبل أن الزعيم أبو الزهارة مش مجرد رسام كبير فقط.. إنما ثبت بالفعل أن زهدي العدوي رحمه الله عليه كان مجمع مواهب متنقلاً، وقد قررنا أن نعد له مفاجأة في عيد ميلاده الواحد والستين، فقام المهندس عبد الرحيم الكريمي وتيمور الملواني بإعداد مسرح الاحتفال بالغرفة رقم ١٢ المخصصة لمذاكرة الطلبة بمبادرة كريمة من اللواء إبراهيم مصطفي مدير المنطقة المركزية لسجون أبو زعبل.. وفي تمام الساعة الرابعة عصر ذلك اليوم كانت الغرفة المزركشة تستقبلنا جميعًا وتحتضن مهرجان (كل سنة وأنت طيب يا زعيم) الذي أعده شباب المعتقلين على أحسن ما يكون الإعداد.

بدأ الحفل بأغنية – يا دنيا يا غرامي– التي أدتها فرقة الغرفة رقم خمسة الشهيرة بـ (غرفة الإنعاش). ورغم بشاعة أصوات أعضاء الغرفة إلا أنهم أضفوا على الاحتفال جوًا من المرح الذي يليق بعيد ميلاد الزعيم في هذا الحفل المفاجأة.. أما مفاجأة المفاجآت فكان الزعيم المحتفى به.. حين غنَّي رائعة سيد درويش"على قد الليل ما يطول"!

التي صفقنا لها بشكل هستيري متواصل (حوالي خمس دقائق!) ثم توالت التعليقات (ياااه كل دا في قلبك وساكت) و (دانت اتاريك ميه من تحت تبن!) و (آمال إيه اللي رماك ع الرسم؟) و (بذمة النبي فيه حد يغني كده ويتحبس؟!).

وفي المساء حين أغلقوا أبواب الزنازين وجمعتنا صحبة السهر زهدي وعبد المنعم القصاص وأنا ونام جميع الرفاق وتحلقنا حول ترابيزة زهدى. وهو بيرسم وأنا وعبد المنعم القصاص شغالين أنا بالف سجاير وعبد المنعم القصاص بيعمل القهوة ع السبرتاية وعبد المنعم الغزالي نايم بيشخر.

وفجأة وبدون مناسبة قلت:

– بس إنت مظلوم يا زعيم!

فقال الزعيم دون أن يرفع وجهه عن اللوحة التي يرسمها:

– مظلوم في إيه يا كبنش؟

ونظرت إلى عبد المنعم القصاص الذي كان يبتسم ابتسامة لها أكثر من مغزى.. وقلت الزعيم:

– مظلوم في الفلوس مثلاً

فأجابني بمنتهى البساطة والقوة:

– والله أنا مكيّف وضعي بحيث أن الفلوس اللي بيدوها لي بتكفيني.

فقلت مشاكساً:

– بس فيه ناس بياخدوا فلوس أكتر منك.

فتساءل:

– زي مين يا كبنش؟

قلت:

– زي حجازي مثلاً.

فأجاب على الفور:

– حجازي بيرسم أحسن مني؟

ونظرنا إلى بعض، عبد المنعم القصاص وأنا، في صمت حوال دقيقة ثم انفجرنا ضاحكين، ثم اندفعنا نحو الزعيم وأشبعناه بالقبل.

(٥)

في قصيدته الرائعة:"غيري على السلوان قادر"، يقول سيدي ومولاي سلطان العاشقين أبو حفص عمر بن الفارض في وصف المحبوب:

حلو الحديث وإنها لحلاوة شقت مرائر!

وهكذا كان الزعيم أبو الزهازة حين يتحدث أحياناً عن الخيانة التي تدمي قلبه"البستان" فيختلط الدم بالخضرة في مشهد موجع وأليم!

... كان عام ١٩٦٤ على موعد مع الأحداث الجسام. فقد حانت لحظة تحويل مجرى نهر النيل لأول مرة في التاريخ وذلك ضمن عملية بناء السد العالي التي تولاها الاتحاد السوفيتي الصديق بعد سحب العرض الأمريكي بتمويل المشروع على أثر مذبحة"الصبحة" الوحشية التي ارتكبها الصهاينة ضد كتيبة مصرية استطلاعية منزوعة السلاح تقريباً.

وسافر علي صبري مدير مكتب الرئيس إلى واشنطن للتعاقد على صفقة أسلحة تضمن لمصر عدم تكرار مذبحة الصبحة، ولكن اللوبي الصهيوني المنتشر في كل مؤسسات النظام الأمريكي تدخل وأفشل الصفقة. وعاد مبعوث الرئيس المصري من واشنطن"وقفاه يقمر عيش" كما يقول المثل الشعبي، فاندفع نظام الرئيس جمال عبد الناصر في اتجاه الاتحاد السوفيتي الذي لم

يفوت الفرصة وقام بتسليح القوات المسلحة المصرية بتسهيلات خرافية. أرسل خبراءه لمصر للشروع فوراً في إنشاء السد العالي"أحد أكبر المشروعات الهندسية في القرن العشرين"، وعندما حانت لحظة تحويل مجرى نهر النيل لأول مرة في التاريخ أرادها عبد الناصر احتفالية عالمية يرد بها على صلف الأمريكان لعلهم يندمون.

ووجهت الدعوات لصفوة زعماء العالم لحضور هذا الحدث الكبير، وكان طبيعياً أن تشمل الدعوات أول ما تشمل زعماء دول عدم الانحياز. جوزيف بروز تيتو– رئيس الاتحاد اليوجوسلافي وجواهر لال نهرو"ربيب المهاتما غاندي"ورئيس الهند وأحمد سوكارنو الرئيس الإندونيسي الشقيق والصديق فيدل كاسترو قائد الثورة الكوبية ورفيق المناضل العالمي الأسطورة"شي جيفارا".. وأخيراً وليس آخراً وجهت الدعوة لأشهر وألمع وأذكى وأظرف رئيس للاتحاد السوفيتي"نكيتا خورشوف". وهنا كانت المفاجأة فبعد أن وصلت الموافقة مشفوعة بالشكر والتقدير من جميع المدعوين لم تصل الموافقة من الاتحاد السوفيتي وهم من أصحاب الفرح، ولكن وصل اعتذار رقيق من الرئيس خروشوف يقول فيه لصديقه جمال عبد الناصر:

"لو كنت يا صديقي مجرد رئيس دولة لوافقت على الفور ولبيت دعوتك الكريمة، ولكنني أولاً السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي.. فهل ترى يا صديقي أنه بإمكاني حضور هذه الاحتفالات وكل القيادات العمالية والشيوعية في مصر رهن الاعتقال؟"

وصدر على الفور قرار الرئيس عبد الناصر بالإفراج الشامل عن كافة المعتقلين الشيوعيين الذين تم اعتقالهم عام ١٩٥٩ عقب إعلان الوحدة مع سوريا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨..!!

(٦)

وأعلنت إدارة القوى العاملة المصرية"حالة الاستنفار" حتى تتمكن من استقبال الأعداد المهولة من كوادر التنظيمات الشيوعية المفرج عنها (فجأة) بقرار رئيس الجمهورية ومطلوب سرعة تسكينها في الوظائف التي تتناسب مع قدرات كل منهم واستعداده للعطاء ومؤهله الدراسي.

وبطبيعة الحال حظيت وزارتان بالتحديد بالنصيب الأكبر من هذه الكوادر التي تتكون في غالبيتها من المبدعين والمثقفين والصحفيين الذين اعتنقوا هذا الفكر ودفعوا الثمن!

فوزارة الثقافة مثلاً استوعبت الكثيرين في مؤسسات المسرح والسينما والهيئة العامة للكتاب والثقافة الجماهيرية التي أنشأها العظيم الراحل"فتحي رضوان"الملقب بـ"شيخ المعارضة المصرية"، وهو الوحيد من الكوادر السياسية في العهد الملكي الذي حظي باحترام جمال عبد الناصر لدرجة أنه اختاره ليكون وزيراً للإرشاد القومي ومنحه سائر الصلاحيات التي مكنته من تنفيذ أفكاره العظيمة كالثقافة الجماهيرية ومكتبة الأسرة التي أصدرت سلسلة"كتابي" بسعر قرشين صاغ للنسخة وترجمت أغلب النصوص من المسرح العالمي، وكانت النسخة التي تحوي مسرحية واحدة تباع بخمسة قروش بينما كان العدد الممتاز الذي يحوي ثلاث مسرحيات يباع بعشرة قروش! وكما أخرج جمال عبد الناصر فتحي رضوان من السجن السياسي وكرّمه واستوزره، فقد فعل السادات العكس تماماً مع هذا الفارس النبيل.. فقد اضطهده سياسياً واعتقله أكثر من مره كان آخرها ضمن ضربة ٤ سبتمبر سنة ١٩٨١ التي أودت بحياة السادات نفسه ووضعت له نهاية درامية.

أما وزارة الإعلام التي كان على رأسها ضابط المخابرات العجيب عبد القادر حاتم، فقد استوعبت عدداً كبيراً آخر من هذه الكوادر الشيوعية المفرج عنها بقرار رئيس الجمهورية، فاستقبل التلفزيون بعضهم واستقبلت الإذاعة البعض الآخر. أما الصحافة فقد استقبلت العدد الأكبر منهم، وكانت جريدة الجمهورية تحت قيادة البكباشي أنور السادات هي جريدة الثورة فاستوعبت مجموعة الصحفيين فقط، وكان من الطبيعي أن تفتح مؤسسة"روز اليوسف" أحضانها للمبدعين والمثقفين من هذه الكوادر بحكم نشأتها وطبيعتها الليبرالية ومبادئها الوطنية التي أرستها ورسختها العظيمة الراحلة السيدة فاطمة اليوسف وفاقها.. المازني والعقاد والتابعي والحمامصي وغيرهم وغيرهم من هذه الكوكبة المضيئة من نجوم صاحبة الجلالة المصرية الذين وضعوا اللبنات الأولى لهذا الصرح الشامخ – رغم كل شيء.. رحمة الله وبركاته عليهم أجمعين.

(٧)

ودخلت مؤسسة روز ليوسف الصحفية أخطر وأهم مراحل حياتها بعد أن احتضنت كتيبة القادمين من وراء الشمس لينضموا إلى هيئة تحريرها أحمد بهاء الدين وإحسان عبد القدوس وصلاح جاهين وحجازي وأخيرًا وليس آخرًا الأم الرائعة فاطمة اليوسف.. وكانت الكتيبة القادمة من وراء الشمس بقيادة العم العظيم حسن فؤاد تضم في صفوفها زهدي العدوي وصلاح حافظ وجمال كامل ومحمد قناوى وغيرهم ممن لا تسعفني الذاكرة الآن بأسمائهم، وتحوّل المبني إلى خلية تموج بالأفكار الشابة والإبداعات الإنسانية العظيمة وصدرت –صباح الخير– إلى جانب أختها الكبرى روز اليوسف فاستقطبت الشباب وقدمت بقيادة أحمد بهاء الدين مجموعة من الفنانين الشباب كصلاح جاهين ورجائي أنيس وحجازى وأيهاب شاكر وعادت روزليوسف إلى ممارسة دورها كمدرسة للصحافة الوطنية الثائرة والمتجددة دائمًا وخاضت مجموعة من المعارك الشرسة دفاعًا عن التقدم والتطور الجديد الذي تحتاجه مصر المحروسة حتى تواكب العصر الذي نشأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية ونشوء وصعود الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى إلى جانب الولايات المتحدة الامريكية التي لم تشارك مشاركة فعالة في الحرب لبعد موقعها عن مرمى المدفعية وقنابل الطائرات وقذائف الطوربيدات البحرية التي أحالت مدن أوروبا وروسيا إلى أنقاض على مدى ست سنوات من القتال الدامي المتواصل المتوحش.

هذا وما زالتُ أذكر معركة صباح الخير التي قادها أحمد بهاء الدين وصلاح جاهين في مواجهة جبهة الجمود بقيادة الكاتب الكبير عباس محمود العقاد، الذي اشتكى تطاول هؤلاء العيال على مقامه السمي لجمال عبد الناصر. أن هذه المعارك الفكرية كانت تصب في النهاية في قنوات الثقافة المصرية بشكل إيجابي فتشكل إضافة خلاقة للموروث الفكري المصري.وأبلغ الأستاذ العقاد أنه لا يريد التدخل في هذه المعارك ما دام حق النشر متاح للجميع وأنه –جمال عبد الناصر– سوف يتدخل فورًا في حالة ما إذا منع أحد الطرفين من استخدام حقه الطبيعي في الرد على الطرف الآخر. وإلى جانب هذا انفردت مجلة صباح الخير الوليدة – الشقية– بنشر"الشمندورة" رائعة الأدب العربي التي كتبها محمد خليل قاسم في معتقل الواحات على ورق البفرة وبماء البصل حتى يمكن تهريبها إلى الخارج.

(٨)

سقط منى سهوًا مع الأسف اسم الشاعر العظيم فؤاد حداد وأنا أقدم كتيبة القادمين من وراء الشمس إلى مؤسسة روز اليوسف وهو الصديق الصدوق لصلاح جاهين الذي كتب له وفيه مجموعة من القصائد الرائعة أثناء وجود حداد في المعتقل. ومن هذه القصائد أذكر"تراب دخان" و"غنوة برمهات" التي تبكيني كلما قرأتها حتى الآن، وكان يندس بين صفوف الكتيبة عنصر جندته مباحث أمن الدولة أثناء وجوده بالمعتقل. وبمجرد وصوله إلى مؤسسة روز اليوسف ضمن الكتيبة بدأ على الفور ممارسة عمله السري ولكنه لغبائه وقصر نظره لم يستسغ العلاقة العضوية بين الشاعرين العظيمين جاهين وحداد فاختلى بصلاح جاهين ونصحه بالابتعاد عن هؤلاء الشيوعيين العملاء.. يقصد فؤاد حداد، وكاد رأس صلاح جاهين أن ينفجر فلجأ إلى العم حسن فؤاد يسأله حلاً لهذا اللغز وتفسيرًا لهذا اللوغاريتم.

وكان يجلس في مكتب حسن فؤاد لحظتها مجموعة من الرفاق، من بينهم صلاح حافظ.. وقرر العم حسن فؤاد التكتم على الموضوع حتى لا تضطر مباحث أمن الدولة إلى زرع عنصر آخر إذا علمت أن هذا العنصر قد تم كشفه وحرقه. فقال لصلاح جاهين:

– اعتبر أنك لم تسمع ما قاله لك هذا المخبر وبالتالي لم تقم بإبلاغي.

ثم قال للحاضرين:

– هذا هدف أحرزناه في مرمى مباحث أمن الدولة، وحتى يظل الموضوع محاطًا بالسرية علينا أن نخفيه عن الرفيق زهدي.

ولكن صلاح حافظ لم يستطع أن يقاوم هوايته في صناعة المقالب، فخرج من مكتب العم حسن فؤاد إلى غرفة الرسامين حيث وجد زهدي منكبًا على الرسم فتصنّع أنه أخطأ في دخول الغرفة في هذا الوقت فعاد بظهره وهو يقول بصوت مسموع:

– معلهش... أسف يا زُملا.. آجي وقت تاني بقى.

ورفع زهدي رأسه عن الورق ونظر لصلاح جاهين وقال:

– تعالى تعالى اتفضل.

– أنا خايف اعطلك.! فأجابه:

– تعطلني عن إيه يا أخي تعالي. وقال صلاح حافظ:

– آجى بس بشرط.! فقال زهدى: أشرط يا سيدى. فقال:

– تطلب لي شاي م البوفية وتقعد تسمعني بدون تعليق أو رد فعل.. أرجوك!!

وبدأ الفار يلعب في عب أبو الزهازة فترك الرسم وقال لصلاح حافظ:

– تعالي جر الكرسى اللي هناك ده واقعد جنبي وأنا أطلب لك الشاي وأسمعك.

وعاد صلاح حافظ يقول:

– من غير تعليق يا زميل زهدي.

– من غير تعليق ولا رد فعل!

– دا وعد؟

– وعد.

وسحب صلاح حافظ الكرسى وجلس في حضن زهدي تقريباً بعد أن أغلق باب الحجرة حجرة الرسامين.

(٩)

استدعي صلاح حافظ كل قدراته الخارقة على التشخيص، وافتعل الحيرة وعدم الفهم وقال لزهدي:

– أنا عاوزك تطرطق لي ودانك وتسمعني كويس، لأن الموضوع بيتهيأ لي له أبعاد خفية! فقال أبو الزهازة:

– موضوع إيه وأبعاد إيه.. ما تتكلم يا بو الصلح. قال صلاح حافظ:

– أتكلم أقول إيه بس يا زعيم، أنا مندهش ازاي قدروا يخترقونا بالسهولة دي، لأ ومين" ... ..." بالذات.. اللي كان بيزايد على الجميع.!

– بتقول مين؟

– باقول لك" ... ...".!!

– عموماً أنا التجربة افقدتني الإحساس بالدهشة.. لكن انتو اكتشفتوه ازاي؟

– هو اللي كشف نفسه لما راح لصلاح جاهين وقال له ابعد عن الشيوعيين العملا.. إنت يا صلاح شاعر مصر كلها ... ...

لم يكمل صلاح حافظ باقي السيناريو.. لأن زهدي قام واندفع إلى خارج حجرة الرسامين باتجاه حجرة المحررين حيث كان" ... ..." يجلس على مكتبه، واتسعت ابتسامة صلاح حافظ وقال بصوت مسموع:

– يا بختنا بالنبي!

واتجه أبو الزهازة إلى مكتب"... ..." وقال له:

– إنت قلت إيه لصلاح جاهين امبارح؟؟

فقال"... ..." بنوع من الفجر:

– وانت مالك؟ أنا أقول أي حاجة في أي وقت.. أناحر..!!

وفوجئ جميع مَن في الحجرة بأبو الزهازة يوجه أربع صفعات إلى وجهه المكتنز. ثم قال له:

– كل ما اشوفك ح اضربك وبمنتهي القسوة يا جاسوس.

وقامت الدنيا ولم تقعد. وكانت كل مؤسسات الدولة وبالذات المؤسسات الصحفية بها مندوب من مجلس قيادة الثورة يُدعي أركان حرب، وفي هذه الأثناء كان أركان حرب مؤسسة روز اليوسف هو الرائد محمد أبو نار الذي اشتبك مع أبو الزهازة في حوار شبه فلسفي بدأه بـ:

– مش معقول يا أستاذ زهدي ناس مثقفين وعاقلين زيكم يصل الأمر بينهم إلى استخدام الأيد. وقال أبو الزهازة:

– يا سيادة الرائد أنا عارف أنكم نظام بوليسي.. وبناء عليه من حقكم تجندوا عملاء في كل حجرة في مصر، أنا بس معترض على نوعية العملاء.. يعني مفروض أنكم سلطة وطنية ومن هنا عليكم حسن اختيار العملاء. وضحك أبو نار وهو يقول لأبو الزهازة:

– يا ريتك تساعدنا في تنقية عملائنا!! وقال أبو الزهازة:

– المسالة مش كيميا.. لو شغلتم حاسة الشم عندكم حتفرزوا الوسخ من النضيف.!!

(١٠)

– وبعدين يا بو الزهازة

– ولا قبلين.. أنا سِبت الدنيا مقلوبة في روزا وروحت، وعشان اشترى دماغي شلت فيشة التليفون وقعدت اشتغل..

– وقدرت تركز في الشغل يا زعيم؟

– وما اركزش ليه يا كابنش؟ فيه عندكم مانع؟

– لا العفو.. بس الكارثة اللي إنت عملتها في روزا بيتهيأ لي يعني كانت محتاجة منك شوية تفكير.

– تفكير في إيه بالضبط يعني؟

– في ردود الأفعال مثلاً

– مفيش ردود أفعال.. دا ولد جاسوس قذر وكان لازم يأخد جزاءه.. وخده وابور نار!! ما أنا قلت لك يا كبنش الحوار اللي بيني وبينه، ويبدو أنه اقتنع..

– اقتنع بإيه لا مؤاخذه؟

– اقتنع بأنه لما يجي يجند جاسوس جديد يبقى ينقيه على الفرازة.

– طب وعم حسن فؤاد؟

ضحك بشدة وقال:

– حسن فؤاد عرف إن صلاح حافظ ما قدرش يكبت شره في سبيل المصلحة العامة فعمل عملته السودا دى. وصلاح حافظ زي عوايده استعبط واندهش جداً وهو بيقول لحسن فؤاد: نفسي أعرف مين اللي راح قال لزهدي. وضحك حسن فؤاد وسأله: طيب ولو عرفته يا بو الصلح حتعمل له إيه؟ وقال صلاح حافظ للجالسين في مكتب حسن فؤاد: انتو بتبصولي كده ليه يا زملا؟ ... انتو متصورين؟ وانفجر الجميع بالضحك وقالوا في نَفَس واحد: احنا مش متصورين يا بو الصلح، احنا متأكدين..!! بس يا سيدي وتاني يوم الصبح وأنا داخل مبني روزا قال لي موظف الاستعلامات: الست عايزاك يا أستاذ زهدى ومنتظراك في مكتبها. وطلعت الدور السابع ودخلت مكتب الست فاطمة اليوسف اللي قابلتني بابتسامة سعيدة وقالت لي: إيه يا أستاذ زهدي اللي حصل امبارح في المؤسسة؟ قلت لها: إنت ما عرفتيش أحكي لك.. والاّ عرفتي وعندك استفسارات؟ قالت لي عرفت.. وبالتفصيل الممل. قلت لها: وإيه رأيك؟ قالت لي: رأيي إن دي أعظم رسماية رسمتها في حياتك.

(١١)

وإذا تجول بك ابو الزهازة في حديقة الظرفاء في مصر المحروسة إذن فأنت على موعد مع رحلة ممتعة تتمني ألا تنتهي..

– ما رأيك يا زعيم في عبد الحميد الديب؟

– من حيث إية يا كبنش؟

– الشعر مثلاً؟

– هو شاعر عصره بلا منافس لولا مؤامرة الصمت المضروبة على إبداعه الشعري

– أيوه يا زعيم بس دا أغلب شعره إباحي يعني من النوع اللي يجرح الحياء العام

– يا سيدى ميت نيله عليك وعلى الحياء العام ... ده ساب كل بلاد الدنيا وقعد لنا هنا ليه ما قعدش في أوروبا وأمريكا مثلاً. ثم إنت عارف إن هذا النوع من الإبداع منتشر بشدة في أوروبا وأمريكا ولا مش عارف؟

– بصراحة يا زعيم أول مرة أسمع بالحكاية دي؟

– طيب بلاش الحكاية دي.. إنت كشاعر إيه رأيك في أبو نواس؟

– وهو أبو نواس مستني رأيي؟؟!!

– عفارم عليك يا كبنش.. أهو أبو نواس ده بغض النظر عن فحولته الشعرية هو مؤسسة الثورة الأولى في الشعر الإباحي، ومع هذا ما حدّش صادر إبداعه بحجة حماية الحياء العام.

– أيوه يا زعيم بس إيش جاب لجاب.

– ما فهمتش تقصد إيه با يش جاب لجاب.

– يعني ده أبو نواس وده عبد الحميد الديب.. يعني إنت يا زعيم عايز تفهمني أن عبد الحميد ما يقلش شاعرية عن أبو نواس، ده إذا ما كانش يزيد يا كبنش. أمال ليه.. أبو نواس شعره متداول بينما عبد الحميد الديب شعره ممنوع. شفت ازاي؟

– أيوه أيوه أيوه الفرق في الرقابة على المصنفات

– مش في الرقابة بس إنما الفرق في العصر كله يعني في العصر العباسي فتحت الدولة جميع النوافذ على الإبداع الإنساني في كل الحضارات وسبقت أوروبا في ترجمة مسرح الإغريق، وكان من نتيجة هذا الانفتاح الثقافي ميلاد وصعود مجموعة من أعظم شعراء العربية كالمتنبي وأبي تمام وأبي نواس والمعري وأبي فراس الحمداني وغيرهم وغيرهم.. فهمت يا كبنش؟

– فهمت يا زعيم.. طيب وامتي بإذن واحد أحد حيفرجوا عن شعر عبد الحميد الديب؟

– في العصر العباسي الثاني إن شاء الله!!

– وده امتي يا زعيم؟

– يوم القيامة العصر يا كبنش.

(١٢)

ويسترسل أبو الزهازة في الحديث الممتع عن معاصريه من ظرفاء مصر المحروسة: الشيخ زكريا أحمد شيخ الملحنين والشاعر محمد مصطفى حمام والشاعر إمام العبد والشاعر عبد الحميد الديب وشاعر النيل الكبير حافظ بك إبراهيم وشاعر الأطلال إبراهيم ناجي الذي مارس الشعر والطب في وقت واحد وكان مهذبًا لدرجة تغيظ على رأي زهدي الذي يروى هذه الواقعة:

– كنا قاعدين على قهوة متانيا بنطالع صحافة الصباح، حينما اقتحم مجلسنا شخص يرتدي ملابس بلدية فاخرة.. وحين رآه الجرسون هرول باتجاه مُرحبًا: أهلاً أهلاً يا عمدة أشرقت الأنوار فأجاب العمده: أهلاً يا واد يا فرماوي كيف حالك؟ فأجاب الجرسون بمنتهي الأدب: الحمد لله يا حضرة العمدة.. محسوبك الكفراوي مش الفرماوي. فقال العمدة معتذرًا: معلش يا فرماوي العتب على النظر والقلم بيغلط، وازيك يا فرماوي!! وضج الحاضرون بالضحك فقال العمدة.!! حساب البهوات عندى يا ... ... فقال جميع الجالسين في نفس واحد: فرماوي.!! وضجوا بالضحك، ثم وجه العمدة الحديث لنا متسائلاً: أمال مين فيكو يبقى الأستاذ ... ...؟ فبادر كامل الشناوي مكملاً: فرماوي؟ فانفجرنا ضاحكين، ولكن العمدة دار ببصره على الحاضرين ثم توقف عند ناجي وقال: إنت تقريبًا!! وكان إبراهيم ناجي بالغ الخجل أمام المعجبين فقال: أنا مين يا عمدة؟ فقال العمدة: أنت اللي أنا جاي أسألك عن الشاعر اللى بيعجبك من دون شعراء مصر والسودان. فقال ناجي: اللي بيعجبني فعلاً هو الأستاذ علي علي.!! فقال

العمدة: مين علي علي يا أستاذ؟؟ فأجاب ناجي على الفور: والله ما أنا عارف يا عمدة. ولأول مرة انفجر العمدة ضاحكًا من أعماقه فدوت في المقهي عاصفة من الضحك.. الضحك الذي يأتي من القلب.

(١٣)

ويسترسل أبو الزهازة في رواية طرائف عبد الحميد الديب التي يراها الزعيم زهدى لا تقل غرابة عن شعره الفريد.. فيقول:

عبد الحميد الديب ده كان كبنش ما يتخيرش عن السامعين. يعني مثلاً أيام ما كان ساكن في أوضة حوش آدم، وقع في غرام جارته فاطمة بياعة اليانصيب، واتفق معاها على الجواز.. وأقنعها بأن الحياة تعاون بين الزوجين. وبناءً عليه لازم هيّ كمان تساهم في تأثيث عش الزوجية كما يفعل العشاق في كل زمان ومكان. واقتنعت المسكينة وقررت أن تنقل أثاث حجرتها، وهو عبارة عن حصيرة ونصف بطانية جيش ومخدة، إلى حجرة العريس الذي كان يفترش ورق الصحف ويتوسد قالب طوب أحمر صيفًا وشتاءً. وبالفعل قامت العروس بتنظيف وتبخير وفرش عش الزوجية استعدادًا لليلة العمر في أحضان العريس المتيم الأستاذ عبد الحميد، كما كان يعرف في بيت قابيل بحارة الحمام بحوش آدم. وظل عبد الحميد الديب ينشر هذا الخبر ويستعد ليوم الخميس الموعود... وقام بفتح أكثر من حساب عند الأصدقاء والمعجبين، فاقترض ما استطاع من نقود وملابس ... وزجاجة ويسكي من كامل الشناوي الذي سأله أخوه الأصغر مأمون الشناوي:

– إنت صحيح مصدق أن الجواز هيعدل حال الديب ويقدر يسدد ديونه بعد كده؟

– لا طبعًا مش مصدق

– أمال ليه بتسلفه ويتخلي صحابك يسلفوه؟

– لأن الولية بتاعة اليانصيب دي هيّ الحال النهائي لعبد الحميد الديب ... ودا مش رأيي دا رأي جليل البنداري. – يعني جليل البنداري رأيه إن فاطمة بتاعة اليانصيب ممكن تعقل عبد الحميد الديب يا كامل؟

– أو تشحنه على الخانكة وتخلص العالم من شره يا مأمون!!

وفي بيت قابيل في حارة الحمام بحوش آدم، دخلت الحاجة أم العربي زعيمة نساء الربع على فاطمة بتاعة اليانصيب وهي بتجهز عش الزوجية وقالت لها: مبروك يا فاطمة. فقالت فاطمة: الله يبارك فيكي يا حاجة عقبال عندك. وقالت الحاجة أم العربي: إنت صحيح هتجوزي الأستاذ عبد الحميد؟ ولعب الفار في عب فاطمة فتساءلت: ماله الأستاذ عبد الحميد يا حاجة؟ ما مالوش يا بنتي.. ولا حاجة بس راجل شمام يكفينا الشر ... يعني تصومي تصومي وتفطري على بصلة..!! واستعدت الحاجة أم العربي لمغادرة المطرح وهي تقول: أنا ما قلتلكيش حاجة يا فاطمة، أنا يا بنتي عندي ولايا زيك ... وانت عقلك في راسك واعرفي خلاصك.

(١٤)

في المساء وعلى غير العادة، عاد الديب مبكرًا إلى عطفة قابيل بحوش قدم حيث تنتظره الحبيبة فاطمة في عش الزوجية الذي تبدلت ملامحه بعد حملة التنظيف والتأثيث التي اضطلعت بها الزوجة الصالحة ليبدأ معها رحلة الاستقرار والتبات والنبات، كما يقول الموروث الشعبي المصري.

كان العربي محملاً بالهدايا التي انتزعها من الأصدقاء برسم زفافه السعيد الذي لا يأتي سوى مرة في العمر –حسب تعبيره هو– وكانت أثمن الهدايا وأهمها على الإطلاق هي ذلك البالطو الكشمير الجديد القشيب الذي منحه إياه صديقه الصدوق وراوية شعره ونوادره الأستاذ عبد الحميد قطامش المحامي. وعندما بلغ العريس السعيد باب حجرته وجدها مفتوحة على مصراعيها، وحين دخلها لم يجد العروس ولا الأثاث ... وإنما وجد فراشه القديم المكون من ورق الصحف وقالب الطوب الأحمر في مكانه القديم.!! وأظلمت الدنيا في عينه فخرج كالمجنون ليجد الحاجة أم عربي في وجهه فسألها:

– ما شفتيش فاطمة يا حاجة؟

فأجابت الحاجة دون أن يبدو على ملامحها أي انفعال:

– في أوضتها يا أستاذ.

واندفع الديب إلى باب غرفة المحبوبة ودفعه ودخل ليجدها في غاية الكآبة والانكسار وآثار دموعها لا تزال عالقة برموشها وعلى صفحة خدودها وسألها:

– فيه إيه يا فاطمة

– فأجابت دون أن تنظر إليه

– حيكون فيه إيه يعني؟ مافيش حاجة.

– مافيش حاجة ازاي يا حبيبتي؟ أمال ليه هديتي عشنا السعيد ورجعتى تاني هنا!

– كل واحد حر يا أستاذ.

– طيب قولي لي إيه اللي صدر مني وزعلك.

– إنت عارف إيه اللي زعلني منك

– لا والله ما صدر مني شيء يزعلك ولا حيصدر مني شيء يزعلك في المستقبل.. دنا باحبك يا فطومة.

– طب إيه رأيك أن الناس بيقولوا عليك شمام.

وتراجع الديب مأخوذًا ودخل حجرته وأقفل بابها عليه وانفجر في بكاء مكتوم زلزل كيانه، وظل يبكي حتى الصباح ثم بدأ يكتب قصيدته الخالدة التي يقول مطلعها:

أفاطم ... أن الناس قد أكلوا عرضى

وبت لعينًا في السماوات والأرض

يقولون شمام وما شم معطسى

سوى الورد والياسمين ... والنرجس الغض

(١٥)

وداعًا يا منزل قابيل.. وداعًا يا حارة سيدى يحيي.. وداعًا يا حوش قدم ... وداعًا يا فاطمة يا حلم العمر بالصدر الحنون والحضن الدافئ وراحة القلب والجنب من شقاء الحياة ومشوارها الوعر الطويل.

وأصبح بيت قابيل ولا حديث له سوى رحيل الديب المفاجئ الغريب ... وقالت الحاجة أم العربي:

– شوفي يا أختي البت! أنتي زعلانة عليه يا موكوسة؟ دانتي تدعي لي إني خلصتك منه. طب افرضي إنه اتجوزك كان حيأكلك منين؟

ولأول مرة تكلمت فاطمة فقالت

– كتر خيرك يا حاجة.. لكن برضه الكلاب شبعانة بالعيش.

وقالت أم مني البلانة:

– والنبي كان راجل غلبان وف حاله.

والتقطت فاطمة الخيط لتقول:

– ولا عمره جاب في سيرة حد ولا أذى حد ولا حد اشتكي منه.

وصرخت الحاجة أم العربي:

– وهو أنا كنت قلت عليه حاجة.. أهو عندك اتجوزيه واشبعي بيه.

وقالت فاطمة بصوت هامس:

– بس يا ريته يرجع ... يا ترى فين أراضيه؟

وكانت أراضي عبد الحميد الديب هي شوارع القاهرة وحواريها يهيم على وجهه في الليالي وفي النهار يفترش عشب الحدائق العامة وينام ملء جفنيه داخل البالطو الجديد.

وذات صباح كان يسير في ميدان سيدنا الحسين حينما داهمه رجل يرتدي الملابس الريفية الفاخرة وسأله:

– مش الأستاذ عبد الحميد الديب برضه؟

– إن شاء الله.

– طيب ممكن تتكرم علىّ وتقبل عزومتي ع الفطار..!!

وحاول الديب أن يعطي نفسه أهمية ما فقال:

– والله أفكر.

ولكن الرجل سحبه من يده ودخل به المطعم وقال له أثناء تناول الإفطار:

– أنا يا أستاذ من دراويشك وعشاق شعرك العظيم.

وبعد الإفطار ... اشترى له علبه سجاير فاخرة ودس في يده جنيهاً يدبح الفرخة، والديب في حاله ذهول من شدة كرم الرجل فسأله:

– أمال العمدة منين؟

– من المحلة الكبرى يا أستاذ.. وعايز يبقى بينى وبينك وسيلة اتصال.

– يا ريت يا عمدة يا ريت

– افرض يا أستاذ أني ح ابعث لك جواب من المحلة الكبرى أكتب إيه على الظرف؟

– تكتب: القاهرة – عبد الحميد الديب بالبالطو.

(١٦)

وفجأة ينفجر أبو الزهازة في نوبة من الضحك دون سبب واضح.

– بتضحك على إيه يا زعيم؟

– باضحك على الكبنش اللي اسمه عبد الحميد الديب.

– ليه بقة إن شاء الله؟

– إن شاء الله لأنه كان يتنفس الكذب بمناسبة وبدون مناسبة! يعني ما يتخيرش عن السامعين

– ازاي يعني

يعني كان المعروف عنه بين جميع أفراد الشلة أنه بيعاني من ضعف جنسي حاد ... ودا كان طبيعي نتيجة سوء التغذية اللي أضاف لها المرحوم كامل الشناوي"سوء التربية".!! وكان هو بينكر المسألة دي بشدة وبيردد مجموعة من الشائعات حول فحولته الجنسية المزعومة، فاقترح جليل البنداري أنهم يسلطوا عليه (... ...) الراقصة المشهورة في ليلة رأس السنة –وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان– وفوجئ الديب بكامل الشناوي يدعوه لقضاء ليلة رأس السنة معهم، فتوجس الديب من هذه الدعوة لأنه لم يتعود على مثل هذه الدعوات ولكنه حضر السهرة وأدهشته حرارة الترحيب بمقدمه ... خصوصاً من الراقصة الشهيرة التي تركت الجميع وجلست بجانبه تلاطفه وتغازله وهو غارق في الارتباك. وفي غفلة من الجميع هرب الديب من الحفل فلم يعثر له كامل الشناوي على أثر إلا بعد أسبوع. حين ذهب إليه ليقرأ عليه قصيدته التي يقول مطلعها:

دع الدنيا وهات الخمر نسكر

لنا (...) تهيم به الغواني

إذا ما قام أضحى كالغضنفر

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة التي تناقلها جميع معاصريه وتحولت إلى واحدة من كلاسيكيات الأدب العربي المكشوف، وحين سمعها كامل الشناوي كاد ينفجر من الضحك وسأله فجأة:

– أنت سرقت (... ...) حد وكتبت عليه ورجعته تاني؟

وكان طلعت حرب باشا مؤسس الاقتصاد المصري الحديث يدعو كل أسبوع مجموعة من الشعراء البؤساء يقضى معهم وقتًا طيبًا ثم ينفحهم ما يتيسر من خيرات الله. وفي نهاية إحدى هذه الزيارات سألهم:

– مش عايزين حاجة يا ولاد؟

فقال الشاعر مصطفي حمام؟

– أنا يا باشا عايز بدلة قديمة.

وقال عبد الحميد الأديب:

– وأنا يا باشا عايز عزبة قديمة.!

(١٧)

وكان شيخ الملحنين زكريا أحمد أو عم الشيخ زكريا (كما كان يحلو للزعيم زهدي أن يسميه) نموذجًا للفنان البوهيمي غريب الأطوار.

كنا سهرانين في بيت عزيز فهمي في انتظار عم الشيخ عشان نحفظ اللحن الجديد ونروح نقوله معاه في الإذاعة معاه ع الهوا. وكانت الليلة ممطرة وشديدة البرودة، وفجأة دخل علينا عم الشيخ مبتل الملابس يحمل على رأسه"مشنة فجل" وانفجرنا جميعًا ضاحكين فلم يتمالك نفسه وانفجر معنا في الضحك وقال:

– أنا كنت حاسب حساب كده. لكن برضه ما قدرتش؟

– ما قدرتش على إيه؟

– الولية عندها ييجي ٩٠ سنة وقاعدة ع الرصيف تحت المطرة وقدامها مشنة الفجل والشارع ما فيهوش صريخ ابن يومين. قلت لها: ما تقومي يا خالة تروحي م البرد والمطرة بدل ما تتشفي وانت قاعدة. قالت لي أروح ازاي يا بني دانا ما بعتش ولا حتى بمليم.! إنت عايز المخفية مرات ابني تضربني وتبيتني في الشارع؟ قلت لها: طب انتي لو جبرتي"المشنة" دي كلها تكسبي كام يا خاله؟ قالت لي ممكن يا بن أختي أكسب وحدة بخمسة ويفضل معايا نكلة أركب بيها سوارس يوصلني لحد باب البيت. قلت لها آدي الوحدة بخمسة أهه وقومي روّحي بقى. وسبتها ومشيت. شوية وبعدين بابص لقيتها لسة قاعدة بالمشنة رجعتلها وسألتها: وهيه المشنة دي فاضية بكام؟ قالتلي: وحياة سيدي إسماعيل الإمبابي آني جايباها من السوق بستين فضة وإن كنت يا بني با كدب عليك ولا با زود أتقطع ف"أربع مفارق" ويروحوني صرة في منديل!! وانفجرنا جميعًا في الضحك.

وقال عم الشيخ: أنا مش عارف منين الولية دي جايبة اللغة والمصطلحات دي؟ تصوروا أنا ما كنتش عايز أمشي من قدامها رغم المطرة اللى نازلة على دماغي. وأثناء هذه الدردشة وصل سوارس فوقفتها وركبتها وحطيت في إيدها ريال فضة وخدت المشنة بالفجل وقلت لها روحي. تقوم المرة بنت الأرندلي تقولي: يعني انت كده ما غلبتنيش يا ابن أختي؟!

قلت في عقل بالي: أجيب لكم البيعة على بعضها، عشان نخش جهنم جماعة إن شاء الله.

(١٨)

وكان المرحوم عزيز فهمي واحد من أبرز أفراد شلة عم الشيخ زكريا أحمد. وكان يملك صوتًا حسنًا وأذنًا موسيقية منحته حق التواجد في الجوق أو الكورس الذي يردد الألحان خلف شيخ الملحنين من باب الهواية ليس إلا! وعزيز فهمي هو الابن الأكبر لعبد السلام فهمي جمعة باشا رئيس مجلس الشيوخ والعضو البارز في حزب الوفد بزعامة مصطفي النحاس باشا خليفة سعد كما يقول الوفديون.

وإلى جانب موهبة نظم الشعر التي كان يتمتع بها عزيز فهمي، فهو عضو فعال مؤثر في تنظيم الطليعة الوفدية الذي انبثق عن حزب الوفد في مواجهة زحف الارستقراطية بزعامة فؤاد باشا سراج الدين على قيادة الحزب الشيعي الذي أفرزته ثورة ١٩١٩ العظمي بقيادة سعد زغلول وسينوت حنا وحمد الباسل وإلخ.

وذات ليلة ... كان الشيخ زكريا أحمد في منزله يضع لحنًا جديدًا وحوله أفراد الكورس الهواة يحفظون اللحن الجديد الذي كان مطلعه:

ليه عزيز دمعي تذلّه
كل ساعة بين يديك
بعد صبر العمر كلّه
وانشغال قلبي عليك
مش حرام؟
والله حرام

وكان للشيخ زكريا طريقة محببة لحفظ وتحفيظ ألحانه الجديدة. فبدلاً من أن يقول: ليه عزيز دمعي قال: ليه عزيز فهمي تذله الخ ...

وانفجر الجميع بمن فيهم عزيز فهمي ضاحكين وظلوا يرددون المطلع هكذا إلى أن حان موعد ذهابهم لدار الإذاعة لأداء اللحن الجديد خلف الشيخ زكريا فانطلقوا إلى شارع الشريفين حيث دار الإذاعة وأنشدوا اللحن الجديد. وأثناء عودتهم سألهم الشيخ زكريا:

– احنا يا عيال قولنا المذهب ليه عزيز دمعي ولا ليه عزيز فهمي؟؟

ولم يستطع أحد منهم أن يتذكر ... فاقترح أبو الزهازة أن يلجأ إلى يعقوب ابن الشيخ زكريا الذي كان يستمع إليهم من الراديو مباشرة.. وعندما وصلوا إلى منزل الشيخ زكريا وجدوا يعقوب غارقًا في الضحك الهستري وهو يردد: ليه عزيز فهمي تذله.

والحديث مع وعن الزعيم زهدى العدوي لا ينتهي ... رحمة الله عليه.

* * *

على الربابة

أصلّى على النبي قبل البداية
نبي عربي مشفع في البرايا
وأسلم بالوتر والقوس عليكم
يا كل السهرانين بالشوق معانا
يقول الشاعر المجروح فؤاده
من الأندال ومن عشق الصبايا
غرامي في الحروب يسبق سلامي
وأملي في الشعوب يخلق غنايا
وعشقي للكلام غالب سكوتي
وكرهي للسكات جالب شقايا

يقول ابن العرب والجرح نازف
صديد الذل ودموع السبايا
ونار الغل من أيلول ويونيه
وريق المر من طعم الرزايا
رضانا بالقليل والخوف رمانا
بحكام المواكب والهفايا
وإيش بعد المسيرة التصفويه
على درب الخيانة للنهايه
وبيع الأرض بالعرض لعدوي
على عينك يا تاجر في المرايا

ويا شعب العرب يا ابن الفواربي
يا رافع للنضال بيرق ورايه
يا واهب للزمن أيام وضيه
بنور البذل والجود والعطايا
صلاح الدين ينادي من منامته
على النايمين على دم الضحايا
لأنا منكم ولا انتو من ولادي
إذا رضيتم بغير النصر غايه
ولا غير السلاح في الحرب يحكم
ويحسم في المشاكل والقضايا

* * *

طلابيات

(١)

من اختراعات أنظمة العالم الثالث العسكرية أن تعاطي السياسة ممنوع على طلبة الجامعة بالذات ... فإذا اندهشت سيادتك وتساءلت:

– أليست السياسة علم؟

يقولون لك:

– نعم السياسة علم

وبطبيعة الحال سوف تقول بحسن نيه

– إذن كيف تحرمون العلم على طلبة العلم في دور العلم؟

فيأتيك صوت من التلفزيون:

– من العلم ما قتل!

فإذا لم تفهم، حُملت إلى مباحث أمن الدولة ليشرحوا لك هناك المسألة بحذافيرها. وفي الغالب الأعم لا يتركونك إلا وأنت فاهم أربعة وعشرون قيراط.

وتحضرني الآن عدة وقائع طلابية، سأروي لكم منها ما تيسر ...

فمثلاً في سنة ١٩٦٨ اندلعت مظاهرات الغضب من جامعات مصر المحروسة بعد صمت دام من سنة ١٩٥٤، يعني اربعتاشر سنة بالتمام والكمال ... والحمد له على كل حال.

وكان لهذه المظاهرات مجموعة من الأسباب، ولكن السبب المباشر والظاهر كان صدور الأحكام الهزلية من المحكمة العسكرية في أخطر قضية في تاريخ العرب المعاصر ألا وهي هزيمة يونيو ١٩٦٧. ولعل أوجع ما في تلك المظاهرات بالنسبة للنظام الحاكم كان هو اتهام الرئيس والزعيم الراحل جمال عبد الناصر شخصياً، حيث دوّى في الشارع المصري هتاف:"لا صدقي ولا الغول ... عبد الناصر المسئول"..!!

هذا وقد جرى قمع تلك المظاهرات بوليسيًا أولاً، ثم جرى تشويهها سياسيًا بعد ذلك ... حيث سارعت أبواق النظام باتهام هؤلاء"الأطفال" بأنهم عملاء!!!

ولم يستطع صوت إعلامي واحد الدفاع عن هؤلاء الأبناء ونفي تهمة الخيانة الوطنية عنهم وهم مستقبل هذا الوطن صوت واحد من الشارع هو الذي ارتفع صارخًا في وجه هذا الزيف الرسمي بقصيدة أراها من عيون شعر العامية المصرية، وكان صاحب هذا الصوت هو الشاعر (محمد جاد الرب علي) ... وكانت القصيدة هي:

يا ام المطاهر رشى الملح سبع مرات
ومع الزغروطه
أحكي حدوتة تعلب فات
الا المطاهر شافها مظاهر ... طب سكات
وبايده شرح
بنيان وسرخ
وكتب وترخ ما احناش بقرات
يا اما المطاهر

يا ام المطاهر رشى الملح وخبي عنيه

اتولد الحر في ساعة ضهر وياختى عليه
لا يطيع ولا يسمع
ولا بيصدق كدب وليه
بيبص لابوه
ويقول هووله ... ماله مغمي عليه
وحتنطق امتي يا بابا
وتقول إن احنا ف غابه
وشريعة الغابة موات
يا ام المطاهر

ومع الزغروطه
أحكى حدوتة تعلب تيه
قام سهّي الكلب
وكتف إيده
كمان رجليه
ودخل لك سينا
وفين مراسينا
وحرف الفيه

فاتت سنة وأكثر
قال والعنتر بيقول إيه؟
قال إيه عصيان
وجابوا العصيان تضرب صبيان
وكنابل تملا بلدنا دخان
ماكفاهش غارات
يا ام المطاهر

أصل الحدوتة يا خاله ستوته
الواد جاي لامه
اتشحتر يا اختى
ومين بقي يقدر يوم ويلمه
وابوه قال يا ختي جي
وعمه قال كمان هايضمه
قال ابعدوا عني سيبوني أغني
وأقول يا مغني موالك مات

وان مات المغني يكون المعني التعلب فات
وان فات التعلب يبقى في ديله سبع لفات
في اللفة الواحدة يأمة موحدة ... دول ربطو لنا عشر نكسات
يا ام المطاهر رشي الملح سبع مرات.

وقد بادرت بتقديم هذه القصيدة الجميلة للمرحوم الشيخ إمام، وقمنا بتلحينها وضمها إلى إخواتها في ترسانة قصائد وأغاني الرفض للهزيمة العسكرية في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ وأيضًا للنظام الذي أتي بها.

(٢)

في يناير سنة ١٩٧٣ قام جهاز أمن الدولة بضربة بوليسية شملت كل قيادات الحركة الطلابية في جامعات مصر ومعاهدها، وكذلك كل الأدباء والفنانين والمثقفين المتعاطفين ولو في سرهم مع الحركة الطلابية!

وفي معتقل القلعة كدسونا في زنازين لا تصلح لإيواء الحيوانات! وفي صبيحة أحد الأيام فوجئنا بضجيج خارج الزنازين وسمعت اسم الكريم.

– فين عم أحمد فؤاد نجم؟

احنا طلبة ثانوي يا عم أحمد والحكومة المجنونة دي اعتقلتنا.

وصرخت:

– إنت مين

– أنا أسامة

– إنتو كام واحد يا أسامة

ولكن الصوت اختفي. فقد زجوا به في إحدى زنازين عنبر القلعة! وكان لابد من إبلاغ منطقة العنبر التحتاني بما حدث ... فكتبت هذا البلاغ:

صباح الخير على الورد اللي فتح في جناين مصر
صباح العندليب يشدى
يجمع شملهم بيكي
يتمم فرحتك بيهم
بألحان السبوع يا مصر
صباح الداية واللفه
ورش الملح في الزفه
صباح يطلع بأعلامنا
من القلعة لباب النصر
سلامتك يا امه يا مهره
يا حبّاله ياولاّده
يا ست الكل يا طاهره

سلامتك من آلام الحيض
من الحرمان من القهره
سلامة نهدك المرضع
سلامة بطنك الخضرة
هناكي وفرحة الوالده
تضم الولد يا ولداه

يصونهم لك ويحميهم
يكترهم يخليهم
يجمع شملهم بيكي
يتمم فرحتك بيهم

صباح الخير على ولادك
صباح الياسمين والفل
تعيشى ويفنو حسادك
ويسقوهم كاسات الذل

وبلغ يا سمير غطاس
يا ضيف المعتقل ثانوي
بصوتك ده اللي كله نحاس
صباح الخير على الثانوي

وأهلاً بيكو في القلعة
وباللي في الطريق جايين
ما دامت مصر ولاده
وفيها الطلق والعاده
حتفضل شمسها طالعه
برغم القلعة والزنازين

(٣)

بعد ثلاث سنوات تقريباً رهن الاعتقال خرجنا الشيخ إمام وأنا كما خرج أهل الكهف إلى عالم جديد عليهم. وفي هذا الصدد قال لنا المسئول الأمني الكبير:

– خلاص ... اللي كانوا ملمومين عليكم وبيشجعوكم اتفركشو. ناس في المعتقلات وناس دخلو الجحور وناس طفشوا من البلد!!

وبعد خروجنا من مبني مباحث أمن الدولة في لاظوغلي قال لي الشيخ إمام:

– سمعت قال إيه؟

صحت وقلت له:

– ما تخلى اللي يقول يقول على رأى الأغنية.

فقال لي بصوت مرعوش:

– بس ده معناه إننا مش هنلاقي ناس نسمّعهم الشغل اللي اتعمل في المعتقل.

– يا إمام يا حبيبي الشغل اللي اتعمل حصل وما حدش حيقدر يخيبه ولا يخنقه، لأن ده كائن حى زيك وزيي تمام.. والكائن الحي اتولد عشان يعيش زي الخواجة الأمريكاني ما قال عن إسرائيل أنها وُلدت لتبقى، مع الفارق طبعًا في التشبيه.

وحسيت إن البُقين دول كان لهم فعل السحر في نفس الشيخ إمام اللي ضحك وهو بيقول لي:

– والله يا أخي إنت غريب ومالكش حل.

قلت له:

– لا غريب ولا عجيب.. المسألة كلها إننا خرجنا من تلات سنين اعتقال واحنا بكامل صحتنا ومعنا أكثر من عشرين لحن وقصيدة جداد.

ورجع الشيخ إمام تاني يقول:

– أيوه بس الكلام ده معناه أنهم خربوها مداين وجابوا عاليها وطيها. ولا انت رأيك إيه؟

قلت له:

– أنا رأيي إنك متصور إن القيامة قامت في مصر، بينما معلوماتي بتقول إن الحياة لسة موجودة في الشوارع والبيوت وع القهاوي.

فأكمل الشيخ إمام وهو يضحك:

– وع القهاوي وع البارات ... جيفارامات ... واتمد حبل الدردشة والتعليقات.

وحين وصلنا إلى حوش قدم كان في استقبالنا مشهد الاحتفال باليوم الأول من شهر رمضان المبارك، وما أدراك ما شهر رمضان في قاهرة المعز لدين الله الفاطمي، وبالتحديد في حي الحسين سيد الشهداء وابن بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم.

(٤)

كان الإفراج عن الشيخ إمام وعني يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧١ بعد اعتقال دام ثلاث سنوات تقريبًا. وها نحن الآن على مشارف عام ١٩٧٢ وقد انفض مولد المهنئين بسلامة الوصول من أراضي ما وراء الشمس. وصفصفت المسألة على الشيخ إمام ومحمد علي وكاتب هذه السطور ... ثلاثة كل واحد فيهم ينحس مدينة، وقاعدين بوزنا في بوز بعض، ونحن نعلم أن المسئول الأمني الكبير في مكتبة بلاظوغلي مستعد لاستقبالنا زاحفين نطلب الصفح والمغفرة حتى نصل من خلاله إلى جهاز الإعلام كما قال لنا يوم خروجنا من المعتقل:

– ما هو انتم لازم تفهموا إنكم لن تصلوا إلى جهاز الإعلام إلا من خلالي!

وكان ردى عليه يوميها:

– لما نعوز نروح جهاز الإعلام حنجيلك.

فرد هو في منتهي الثقة:

– وأنا في انتظاركم.

وذات صباح لا ينسى، كنا نجلس ثلاثتنا صامتين حين قال محمد علي للشيخ إمام:

– ما تقوم يا راجل انت تفك العود وتسمعنا حاجة من الشغل الجديد يمكن ربنا يفرجها.

فلم انتظر رد فعل الشيخ إمام، وانزلت العود من مكانه وقمت بفك الكيس وقدمته للشيخ إمام الذي ابتسم يمكن لأول مرة منذ شهر تقريباً، وبدأ عملية الدوزنة ... ثم عزف مجموعة من التقاسيم من مقام الراست ايذانا بغناء"قيدوا شمعة"، وهي واحدة من أجمل ألحانه كنا قد أنجزناها في معتقل القناطر ويقول مطلعها:

قيدوا شمعة يا أحبه ونورولي
ومشتين من رمش عين
ويبندهولي
من هنا سكة ملامة
ومن هنا سكة ندامه
سكتين ياللا السلامة
أمشي فين يا ناس قولولي
قيدوا شمعة ونورولي

وكان الشيخ إمام قد اختار هذه الأغنية بالذات لأنها تعبير وتصوير للامتحان الذي نتعرض له الآن، ولذلك أعاد هذا المطلع ثلاث مرات دون أن يطلب منه أحد الإعادة. وأنا رأيي في الشيخ إمام أنه مثل عبد الوهاب مغني عظيم ومتفرد بينما هو ملحن كبير فحسب.

وبلغ أداء الشيخ إمام ذروته وهو يغني:

ما يا قلبي العشق بينا
ما وخال البال يلومنا
ما وقال للشوق يجينا
في الليالي يقل نومنا
بين مسانا وبين صباحنا
نصحي والناس نعسانين
موعودين بالجرح يا احنا
والدوا للموعودين

وهنا وقعت المفاجأة ...

(٥)

وكانت المفاجأة التي وقعت هي نداءات من حوض المنزل.

– يا شيخ إمام يا نجم

وحين تطلعت من مسقط المنور فوجئت بمجموعة من الشباب والفتيات وقلت.

– مين؟

– احنا

– إنتو مين؟

– احنا طلبة الجامعة

– جامعة إيه؟

وجاءنى صوت فتاة:

– تفتكر احنا ممكن ننتظر كتير وسيادتك عمال تستجوبنا من فوق كده؟

وضحكت وقلت:

– اتفضلوا اطلعوا

وقلت للشيخ إمام دول شوية عيال خنافس ما تعرفش الولد من البنت فيهم كلهم مضفرين شعورهم وقال الشيخ إمام:

– وتفتكر دول مصريين يا أبو النجوم.

قلت له:

– إنت مش سمعتهم دلوقتي وهما يتكلموا؟

قال لي:

– فعلاً اللسان مصري لكن بقى الله أعلم بالقلوب.

ووصل الوفد الطلابي إلى قلب الحجرة التي نحن بها. وقبل أن أفكر في كيفية استقبالي لهم فوجئت بأحدهم يحتضني وآخر يحتضن الشيخ إمام، واستمرت الأحضان حتى آخر الطابور. وقام محمد علي إلى الداخل لإعداد الشاي المتين لهذا الجرمق الذي فوجئنا به يغني:"

يا شغالين ومحرومين
يا مسلسلين رجلين وراس
خلاص خلاص
مالكوش خلاص
غير بالقنابل والرصاص
دا منطق العصر السعيد
عصر الزنوج والأمريكان
الكلمة للنار والحديد
والعدل أخرس أو جبان
صرخة جيفارا يا عبيد
في أي مواطن أو مكان
ما فيش بديل
ما فيش مناص

يا تجهزوا جيش الخلاص

يا تقولوا ع العالم خلاص

وصرخ الشيخ إمام:

– يا حلاوتك يا مصر

قلت له:

– صدقتني بقى.

ثم حكينا للشباب لقاءنا بالمسئول الأمني الكبير يوم الإفراج عنا وتهديده لنا ومحاولة زرع اليأس فينا.

وقالت البنت:

– كل فنكم العظيم اللي اعتقلتوه بسببه موجود فينا لكن احنا عاوزين الجديد عشان الاعتصام.

– اعتصام إيه؟

– احنا عاملين اعتصام في الجامعة.

– إنتو مين

– احنا جماعة الثورة الفلسطينية.

وصرخ الشيخ إمام:

– الحقني يابو النجوم

وقمت أحتضنه وأنا أصرخ:

– مش قلت لك دي مصر ولاده؟

* * *

باحبك

باحبك.. باحبك
باحبك.. باحبك
باحبك.. باحبك
باحبك يا مصر
مسايا وصباحي اسبح بحبك
وحبك شفايا وجراحي ... يا مصر

وأسافر بحبك
وأميل زي ميلك
وتحلا الخطاوي
في حبك يا مصر
وأحب اغترابي
في صبحك وليلك
وأحب الونس
بالرفاقة يا مصر

تنام الدموع
في العيون الهواجع
وتسهر دموعي
في حبك يا مصر
ولو يحبسوني
ولو يشنقوني
ولو فكروا
بالعذاب يبعدوني
حاقرب
واقرب
ومش ممكن أهرب
وتنزل دموعي
على خدودي تشرب
تلاقي الرموش
والخدود والمباسم
مراسم
وصورتك عليهم يا مصر

باحبك باحبك
باحبك باحبك
باحبك باحبك
باحبك يا مصر

* * *

خليك بالبيت

المذيع المشهور زاهي وهبي التقاني في برنامجه الشهير الذي يقدمه في التلفزيون اللبناني.. وقد تعبت من يومها من تساؤلات كل من يقابلني عما قلته في هذا البرنامج ... وقد رأيت أن ألخص لكم ولهم ما جاء في هذا البرنامج على لساني باختصار:

" الرئيس جمال عبد الناصر مات اغتيالاً.

"مياه النيل تلوثت فطلع مصطفي قمر وأنوشكا.

" عمر دياب يعتمد على نساء شبه عرايا للرقص في أغانيه المصورة.

"سعاد حسنى قتلت لأنها كانت مجندة بالقوة في المخابرات المصرية في عهد رئيسها صلاح نصر، وتملك أسراراً كثيرة تتعلق بالدولة وهذا الأمر مثبت، وما نعرفه أنها مثلث دورها (الحقيقي) في فيلم"الكرنك" عن قصة نجيب محفوظ ... حيث جسدت شخصية زينب التي تغتصب وهي تنادي بلا جدوى كل فرسان الكرامة والشرف. إضافة إلى ذلك فإن الشاهدة على انحرافات صلاح نصر اعتماد خورشيد كانت قد قدمت خلال التحقيق صورة كبيرة لعمليات الاعتداء على النساء من قبل رجال السلطة الحاكمة في الستينيات، كما أشارت إلى جريمة اغتصاب الممثلة الشهيرة"س.ح" (كما جاء في مذكراتها) وتقصد سعاد حسني، التي تم تصويرها في وضع شائن. وقد ربطتني قصة حب بسعاد، ولا أزال أحبها حتى الآن. وقد أخفى صحفي قريب من جهات معنية ثلاثة شرائط كاسيت سجلتها سعاد حسني بصوتها.

"عبد الحليم حافظ تربَّي معي في"الملجأ" ... ثم تظاهر فيما بعد بأنه لا يعرفني.

"محمد عبد الوهاب"خرب" الموسيقى العربية باقتباسه النوتات الغربية. ولقب"موسيقار" لا يستحقه عبد الوهاب.

"محمد حسنين هيكل يبيع كلمته بالدولار ... ومن العيب أن يبيع الإنسان كلمته للإنكليز الذين احتلوا أرضه لأن الكلمة بمثابة الشرف.

"عمرو دياب ومصطفي قمر لا يغنيان ... وشعبان عبد الرحيم من بقايا عبد الوهاب.

"أنغام لا تعجبني ... فرغم موهبتها وحسها الفيروزي يلزمها الدقة أكثر في كيفية اختيار أعمالها ... فهي غبية.

"محمد الحلو ومدحت صالح وعلى الحجار وأصالة موهوبون وأصواتهم جميلة.. والدليل أنهم ليسوا نجوماً من الدرجة الأولى مثل عمرو دياب ومصطفي قمر.

"السيدة فيروز والرحابنة مدرسة قائمة بحد ذاتها، قدموا اللون والروح اللبنانيين بأمانة ... وحبي لصوت فيروز يسري في دمي.

"أعشق سيد درويش ... وهو الأحق بلقب موسيقار، تماماً مثل القصبجي والسنباطي على عكس عبد الوهاب.

"فاتن حمامة وأم كلثوم وعبد الوهاب كانوا يستطيعون سجن من يريدون ... وسيدة الشاشة –كما هو معروف – عنها هربت في الستينات من مصر إلى الخارج ثم إلى لبنان من ملاحقات رجال الاستخبارات لها، الذين أرادوها أن تعمل لحسابهم لكنها رفضت رفضاً قاطعاً، على عكس بعض الفنانات اللواتي عملن بالتجسس لحساب السلطة ... وهي لا تستحق لقب"نجمة القرن" ... وكان الأجدر أن يعطي لشادية أو لهند رستم.

* * *

كظماني

(١)

من حواديت خالتي زنوبة ... صلّوا على حضرة النبي وكمان زيدوا النبي صلا ... كان قبلي البلد فيه دكان مزيّن سُنّي كل ما يمد أيده في راس زبون يقول"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم". وكان الشيطان الرجيم بيتململ من البسملة دي لدرجة أنه نوى للمزين على نيّة أسود من قرون الخروب ...

ويوم من ذات ألأيام كان المزيّن السُني لسة فاتح الدكان ومستني يستفتح، راح الشيطان داخل عليه في هيئة صنايعي لابس أبيض في أبيض وصباح الخير يا عم الحاج قال له:

– صباح النور يا ابني

قال له:

– مش عايز صنايعي يساعدك؟

– قال له يساعدني على إيه يا حسرة؟

– أديك شايف الحال منيّل بستين نيلة وأنا واقف أنش.

قال له:

– يا سيدى يمكن ربنا يرزقك جنبي وع العموم لو الحال ما مشيش كل واحد مننا يروح لحاله ويا دار ما دخلك شر ...

السُني بص في الصنايعي لقاه نضيف، وقلبه ما هانش عليه يطرده قام قال له:

– طيب ع الكرسي ده إنت ورزقك.

الصنايعي دخل الكرسى وبدأ ينضفه ويظبطه والسُني وأقف يتفرج من تحت لتحت. شويتين ودخل شيطان على هيئة زبون.

– صباح الخير يا أسطى باشا

– صباح العسل يا عسل

قعد الزبون ع الكرسي وطلّع الصنايعي من شنطته فوطة نضيفة رماها على صدر الزبون وبدأ يظبط المسائل وسأله

– شعر ولا دقن؟

قال له:

– دقن بإذن الله

طلّع الصنايعي أنبوبة معجون حلاقة عَبقِت المحل بريحه جميلة وفو ... فو ... كان وش الزبون غرقان معجون، وطلّع الموس وفو ... فو ... كان وش الزبون ناعم وبيلمع زي الجزمة الأجلسية ... كل دا والسُني واقف مذهول لكن عامل نفسه مش شايف. وقام الزبون من ع الكرسي وسأل السُني:

– حلاقة الذقن هنا بكام يا حاج.

قاله:

– إن شاء الله بجوز جنيهات.

قال له:

– جوز جنيهات إيه يا راجل يا طيب. خد خمسة جنيه عشان المحل وجوز جنيهات إكرامية للصنايعي الجميل ده.

وخرج الزبون والسُني مش مصدق اللي شافه. فقال للصنايعي:

– بسم الله ماشاءالله يا هندزه، ده أنت حاجة فل قوي وربنا يهديلك صنعتك. قال له:

– يا عم شيللاه يا عجز.

قال:

– لأ لأ عجر إيه ... بلاش تواضع ده انت معلم، وبإذن واحد أحد أنا ناوي ما افرطش فيك أبدًا.

قاله:

– ربنا ما يجيب تفريط وتأكد أنا كمان مش ممكن أسيبك إلا بالموت.

(٢)

تزاحمت الأفكار واختلطت وتضاربت في الفراغ اللانهائي لرأس المزيّن السُّني – صاحب المحل – حول هذا الصنايعي اللقطة الذي هبط عليه من السماء وكأنه كنز أو –بير بترول– وبدأ يحسب ويعد ويمني النفس بالثراء الفاحش والسريع والوداع الأخير لأيام الفقر والصياعة، وأخذ يسترق نظرات الإعجاب والتمني من الصنابعي –الشيطان– والآخر شايف وعامل مش واخد باله. وفجأة دخل شيطان على هيئة زبون محترم وجلس على الكرسي ليستقبله الصنايعي بالترحاب ويفرش على صدره الفوطة بحركة استعراضية وكأنه مثلاً فطاطري بيدلع العجينة وهي لسة مفرودة والمزيّن السُّني مذهول بما يرى.

– شعر ولا دقن؟

– شعر ودقن إن شاء الله.

وقرر المزين السُّني إن يرى العملية دون أن يراه أحد، فتشاغل بترتيب العِدة و –من تحت لتحت– رأى العجب العجاب، أخرج الصنايعي مكنة شعر عجيبة الشأن والمنظر و فو ... فو خلّص على الشعر وراح مطلّع الكريم العجيب و فو ... فو غرّق وش الزبون صابون معطر وراح مطلع الموس و فو ... فو ... ونعيمًا يا باشا. وقام الزبون في حالة نشوة وفرح جنوني وهو بيردد:

– الله الله. بسم الله ما شاء الله ... إيه الحلاقة الجميلة دي؟ وإيه الصنايعي الفنان ده؟

والتفت للسُّني وهو في قمة السعادة وسأله:

– بكام الحلاقة عندك يا مشيخة؟

وقرر السُّني –في عقل باله– عدم إفلات الفرصة فنظر إلى الصنايعي وكأنه يستأذنه قبل أن يقول:

– شعر ودقن هنا الفوزيتة معروفة، لكن علشان سيادتك بتشرفنا هنا أول مرة حناخد منك خمستاشر جنيه بس.

وصرخ الزبون الشيطان:

– خمستاشر جنيه إيه يا راجل يا أهبل إنت! إنت مش عارف قيمة نفسك ولا إيه؟

وشعر المزين السُّني بأن الأرض بتلف بيه وعينه بتزغلل فاستند على الكرسى وقال للزبون الشيطان:

– أمال سعادتك عايز تدفع كام؟

وقبل أن يجيب الزبون –الشيطان– قال السُّني:

– عمومًا أجرة المزين دي وهبة وكل واحد بيدفع قيمته يا باشا.

فقال الزبون بلهجة أقرب إلى الاعتذار:

– عمومًا أنا مش مستعد المرة دي، لكن خمسين جنيه للمحل وعشرة جنيه إكرامية للراجل اللي إيديه تتلف في حرير ده.

وجلس السُّني على الكرسي قبل أن يسقط على الأرض مختل التوازن من الدوار الذي أصابه.

(٣)

شطح الخيال بالمزيّن السُّني إلي أبعد مدى وغمرته السعادة وهو ينظر إلى الصنايعي الشيطان ويسأله:

– إنما الأسطى باشا من فين بالجودة؟

– محسوبك من كظمان غرب.!

– أنعم وأكرم ... إنما ما تأخذنيش يعني هيه كظمان غرب تبقي فين بالصلا ع النبي؟ بيتهيأ لي تبقي بعد بلاد الهند والسند وبلاد بتركب الأفيال!

– الله ينوّر عليك ... تلاقيك رحت حلقت هناك.!

– الكدب خيبة يابن والدي ... أنا ما رحتش هناك من أصله إنما بيتهيأ لي إني سمعت طشاش إن الحلاقة عندكم متقدمة قوي.

– أوه هووووووووه ... ما تزعلش مني لو قلت لك إن الحلاقة عندنا سابقاكو بألف سنة..!!

– ألف سنة؟ لكن ده كتير قوي.

– عمومًا دلوقتي حفرجك ع الحلاقة الكظماني.

ودخل شيطان في هيئة زبون وقعد على الكرسي..

– شعر وألا دقن يا باشا؟

– شعر ودقن إن شاء الله

وراح الصنايعي مطلّع من جيبه موس عجيب وقاطع رقبة الزبون وحط الدماغ ع الكومودينو وبدأ يحلق له. و فو ... راح مركب الرأس مطرحها فقام الزبون يقول:

– يا ااه ... الله إيه ده. مش معقول ... إيه يا عم العظمة دي كلها؟ بكام الحلاقة هنا يا هندزة؟

وكان السُّني لسه لسانه مشلول م الدهشة فرد الصنايعي الشيطان:

– هنا الجودة بالموجوة يا باشا

– خد أولاً إكراميتك ٥٠ جنيه وآدي ١٠٠ جنيه أجرة المحل واحجز لي مطرح هنا على طول. وخرج فاستعاد السُّني نفسه وقال:

– إيه اللي إنت عملته ده.؟ هيه دي الحلاقة الكظماني.؟ صحيح علّم الإنسان ما لم يعلم.

– بس لازم تعرف إن السر في الموس ده. الموس ده صناعة كظماني.

– ممكن أشوفه؟

– لأ يا حلاوة ... إلا كده.! ودلوقتي أنا رايح اتغدا. عن إذنك.

– أنا مستعد أحلفلك على مصحف إن عمدة البلد جاي يحلق النهار ده وعايز أحلق له كظماني.

– ياحاج اعمل معروف ما تخنقنيش. الموس ده مش موجود منه في كظمان نفسها إلا نسختين. أديهولك والشيطان يوزك تنام عليه، وأقعد أنا أسقف على بطاطي.

– أخص عليك يا هندزة ... ليه كده الكلام الجارح ده ...!!

(٤)

وقال الصنايعي –الشيطان– وكأنه بيشاور عقله:

– والله يا حاج أنا ما أعز عنك إلا الوحش.. بس عبارة الموس ده بالذات مش مريحاني.

– يا راجل عيب ع الدقن اللي أنا شايلاها دي.. وعيب على زبيبة الصلا اللي وآكله نص وشي. أنا برضه ممكن أنام على أمانة مسلم؟

– ما أنا برضه بأقول كده.. إنما ليه إنت مصمم تاخذ الموس الكظماني ده بالذات؟

– ما أنا قلت لك إن عمدة البلد ميعاد حلاقته النهاردة وعايز أعملّه مفاجأة وأحلق له كظماني.

– بس أنا أضمن منين إنك ما تديش الموس ده لحد تاني؟

– يا جدع ربنا عرفوه بالعقل. ده باب رزق وجاء من وسع. قوم أحوِّل رزقي على غيري بتاع إيه؟

– يمكن ليك واحد حبيبك صنايعي وعايز تجامله يعني.

– البلد دي ما ليش فيها حبيب. إطمن

– يعني إنت اللي هاتحلق للعمدة بإيدك الشريفة دي؟

– إن شاء الله

– كده أبقى أنا اطمنت ع الموس وعليك. وناوله الموس وخلع.

وتصور السُّني إنه استحوذ على كنوز الملك سليمان. وبيضرب بعينه لقى العمدة جاء يتدلج من أول الشارع. فقال في عقل باله والله وباضت لك في القفص يا سُني يا بن أم السُّني.

ومن باب الدعاية والإعلان زعق بعلو صوته:

– استنى يا حضرة العمدة.

وراح جايب كرسي من جوه المحل وحطه ع الباب وقال للعمدة:

– اتفضل اقعد هنا ... واتفرجي يا بلد ع الكظاني. وراح حاطط الفوطة على صدر العمدة وهو بيغني: كظماني يا واد كظماني ... والعمدة حلق كظماني!

وراح مادد إيده بالموس وراح قاطع رقبة العمدة، وداخل بالرأس على جوه عشان يحلق لها. وصرخ الناس في الشارع وأصابهم الخوف:

– المزين دبح العمدة.. الحقونا يا خلق هوه ... اندهولنا الحكومة يا جدعان. السُّني قطع رقبة العمدة.

وخرج السُّيني يحمل رأس العمدة عشان يركبها بعد ما حلق لها كظماني. فصرخ الناس وهجموا عليه.

فنظر إليهم باستغراب وهو يقول بعلو صوته وبمنتهي الثقة:

– مش عايز زحام يا جماعة.. اقفوا في الطابور وكلكو هاتحلقوا.

* * *

الأدباتي

أنا الأديب الأدباتي
غايظني حال بلدياتي
وغلبت أبوحوح وأهاتي
لكن بلدنا سمعها تقيل
الله الله يا بدوي
هات الشخاليل

شرم برم والناس غافله
والغفله ع الأفهام قافله
والكدب لعلع في الحفله
وأغلب السامر مساطيل
الله الله يا بدوي
دق الشخاليل

حالتنا ما تسرش إنسان
وحالنا يصعب على الغلبان
لكن يا خلق علينا لسان
لو جريناه ع الصلب يسيل
الله الله يا بلدي
يام الشماليل

السوس نخر سقف العشه
وعضمة النغمات هشه
عايزين صابونة ومقشه
وهات يا كنس وهات يا غسيل
الله الله يا بلدي
مشوارنا طويل

آدي العبارة يا متولي
وآدي الصراحة اللى تمللى
تلسع وتوجع
عرق الغضب
زلومة فيل
الله الله يا بدوي
لم الشخاليل

حتة فلسفة

زي النهاردة من زمان
من كام سنه
ولا فيش لزوم
للعد أو للحسبنه
أصل الحكاية عد عمرك يا جحا
قال يوم فلس
وخمسة ستة عكننه
فلس فلس
يحيا الفلس والجدعنه

زي النهاردة الست ماما
والدتي
صرخت وقالت بالقليل
يا دهوتي
واتجمعوا نسوان حارتنا يسمعوا
صرخة قدومي ويستباركوت بطلعتي
قلة عقول طبعًا
وحركات نسونه

لأ والأكادة إن الجماعه
ماشاورونيش
ولا حد قال لي
إن كنت آجي
أو ما جيش
قال ليه وليه
بابا ياناغش والدتي
قام شيء حصل بعد المناغشة
ما يتحكيش
وابن العرب في الشيء دا
آخر حرفنه

ليلتها كان الحظ آخر نعنشه
وكلمتين في ضحكتين
بعد العشا

كان القدر جاهز
مجهز خبطته
خبط عبط
شوفو العجيبة المدهشة
سنين عذاب
تعملها لحظة سلطنه

* * *

هوجو شافيز

فارس أمريكا اللاتينية النبيل الذي وجه لجورج بوش المغرور الأحمق صفعة تركت بصماتها على وجه الأملس البغيض وقدمت للعالم أجمع دليل دامغًا على أن الثور الأمريكي الهائج يمكن قهره واذلاله إذا تخطى حدوده ودس قرنه فيما لا يعنيه.

فمنذ تولي"هوجو شافيز" منصب الرئاسة في جمهورية فنزويلا عقب انتخابات حقيقية، والرجل يدير سياسة بلاده لمصلحة الوطن والمواطن في كل ما يتخذ من قرارات وما يصدر من قوانين. ولأن شافيز ينتمي بالفعل إلى العالم الثالث الفقير فقد رفض نظام العولمة الذي فرضته أمريكا لتقود به العالم منفردة دون وجه حق! ثم بادر بفضح المذابح الوحشية التي ترتكبها أمريكا وأذنابها ضد الشعب الأفغاني الفقير الأعزل بحجة البحث عن أسامة بن لادن هناك!

وكان هوجو شافيز هو أول رئيس دولة يزور بغداد على أثر العدوان الأمريكي على الشعب العراقي وفرض الحصار الظالم عليه! ثم فعل نفس الشيء حين زار طرابلس بعد ضربها بالطائرات الأمريكية وفرض الحصار الظالم عليها، وهناك أعلن تضامن بلاده مع الثورة الليبية بصوت صكّ أسماع العالم النائم في العسل الأمريكي. وليس سرًا أن أكثر ما أغاظ الإدارة الأمريكية من هوجو شافيز هو صداقته الحميمة لعدو أمريكا اللدود الزعيم الكوبي"فيدل كاسترو" رفيق المناضل العالمي الأسطورة"ارنستو شي جيفارا" الذي اغتالته المخابرات المركزية الأمريكية في مشهد درامي هزّ العالم في نهايات الستينات من القرن العشرين الماضي، ولكنها لم تنجح في التخلص من ذكراه وأفكاره المنتشرة بشكل سرطاني بين الشباب الأمريكي الأوربي حتى الآن وبشكل مخيف.

وكان لابد من التخلص من هوجو شافيز حتى لا يتحول إلى رمز ونموذج لنوع جديد من المناضلين في أمريكا اللاتينية ضد الإمبريالية الأمريكية التي تحاول ابتلاع العالم بعد أن خلا لها الجو بعد سقوط الإمبراطورية السوفيتية. وبدأت أمريكا تمارس لعبتها القذرة المعتادة فأشاعت عن طريق أبواقها أن هوجو شافيز يمارس سياسة معادية لمصالح شعبه الذي يذوب عشقًا في النموذج الأمريكي وبالطبع لم تعدم المخابرات المركزية الحيلة في العثور على شرذمة رخيصة من ضباط الجيش الفنزويلي وخططت لهم فقاموا بانقلاب عسكري بادرت أمريكا وحدها بتأييده والاعتراف به حتى تمنحه الشرعية والاستقرار.

لكن الشعب الفنزويلي كان له رأي آخر فرضه بإعادة زعيمه إلى السلطة بعد ساعات قليلة من الإعلان عن عزله. وحين عاد شافيز إلى السلطة على أعناق الجماهير لم يعد خائفًا ولا نادمًا على ما كان، وأكثر تصميمًا على تأصيل وترسيخ سياساته التي أغضبت البيت الأبيض ودفعته إلى تدبير وتنفيذ مؤامراته المنحطة التي كشفها وهزمها التحام شعب فنزويلا العظيم بابنه وقائده المخلص.

* * *

الربيع

يطوف الربيع
صغيرٌ بديع
وينهي المطاف
إذا العدل طاف
وشاف الجميع
يطوف الربيع

تعيش الزهور
إذا الدنيا نور
وتملا الخمايل
وتطرح موده
عدد كل ورده
وتعمل عمايل

باحبك يا بلدي
واحبك ربيع
شبابك مصحصح
وجوك بديع
ونيلك موافي
يسافر بواخر
ويسقي العطاشى
شجر تمر حنه
وشجر دقن باشا

وتخضر أرضك
بطولك وعرضك
وتعلا السنابل
وتكسى الغيطان
وتشدى البلابل
وتملا الودان

يا مصر انتي جنه
ربيعك فتنا
مشاتل مشاتل

سنابل وحنه

مجرد أماني
يا قلبي يا والع
مدام انت تاني
مخضر وطالع
بلون الربيع
يطوف الربيع

* * *

الدكتور عاطف

أكيد أكيد أن الدكتور عاطف عبيد شاطر في حاجة ... ماذا وإلا ما كانوش عينوه رئيس مجلس وزراء مصر المحروسة – حتة واحدة!!

شاطر في إيه؟ شاطر في إيه؟ شاطر في إيه؟ ...

غُلب حماري ...

يمكن يكون مثلاً شاطر في عملية البيع ... أو نبيه في الحسابات ومسك الدفاتر ...؟؟

يمكن ... لكن عبارات الفصاحة أو – طق الحنك – على رأي الأشقاء الشوام مالوش فيها ... ومن هنا الخوف عليه لأنه (عدم المؤاخذة) مش كانن في البيت وكافي خيره شره ... لأ دا رئيس وزراء دولة ومنش أي دولة، دي مصر المحروسة الشقيقة الكبري لكل الدول العربية ... يعني أنفاسه بتتعد عليه وعلى كل همسة منه بتتحسب على الشعب المصري م الباب للمحراب وأنا منهم.

تيجي انت بقى يا عن الدكتور عاطف وتعمل حديث طويل مع صحيفة خليجية –وبدون مناسبة– وتاخد راحتك في الكلام!!

طب أديك وقعت وقعة الشاطر اللي هي –اللهم اكفينا السوء– ما بعدهاش قُومة ... ليه كده يا دكتور؟

مزنوق في بقين ... عندك الإعلام المصري قول فيه ما بدا لك ولا حدش ح ياخذ باله ... إنما يصطادك شيخ العرب الخليجي ويزنق عليك في مسألة الحرب دفاعًا عن الشعب الفلسطيني فيكون ردك: عايزين مصر تحارب هاتوا ميت مليار دولار !!!!

هيّ بقت كده يا دكتور عاطف؟ يا عيب الشوم ... دانت على كده تبقى ما سمعتش كلمة رئيس مصر في الاحتفال بذكرى تحرير سيناء اللي حدد فيها عدد شهداء الشعب المصري بـ ١٠٠ ألف شهيد. وفي تصوري أنه أقل بكثير من الرقم الحقيقي، ولكن لنفترض أن الرقم صحيح"١٠٠ ألف شهيد" –تفتكر لو حسبناها كده يا دكتور عاطف، تبقى البيعة على بعضها بكام؟ يا عيب الشوم ...

يا دكتور عاطف إنت على عيني ورأسي رغم إنك بعت كل شيء ابتداء من شيكوريل وعدس وعمر أفندي والبقية في الطريق، لكن بس أنا عايز الفت نظر معاليك إن فيه في البلد دي أشياء ليست للبيع، وعلى راس هذه الأشياء المقدسة يأتي جيش مصر المحروسة مصنع الرجال وأبو الأبطال ... إبراهيم باشا الفاتح وعزيز باشا المصري وأحمد عبد العزيز ومحمد نجيب وجمال عبد الناصر والشهيد عبد المنعم رياض والشهيد أحمد حمدي ... وما تعدش بقى يا دكتور عاطف ده طابور طويل أوله أحمس – قاهر الهكسوس– وآخره لسه في الطريق ... دا سلسال يا دكتور عاطف، وذرية بعضها من بعض.

يا دكتور عاطف صدقني أنا مش قادر أكرهك (مش عارف ليه؟) ... ولو عايزني أحبك بلاش التصريحات اللي من النوع ده. الله لا يسيئك لأن احنا اللي فينا مكفينا ...!!

* * *

شيّلني وأشيلك

شيّلني وأشيلك
دنا برضه فرحت لك
وأنا بتاعك يا بيه
وأعرف ...
ما أعرفش ليه؟

وكام عبد المعين
لابد في المسئولين
وأنا بتاع كل حاجة
ودراعك اليمين

وهتيف الوزير
وسواق المدير
ومهماز المدام
ونبوت الغفير

وخدام السياده
وفراش العياده
واللي من غير سناده
يتعكز على السرير

وناس بدم ساقع
واقفين ورا البراقع
يبيعوا المبادئ
ويضيعوا الشرائع

وناس من خلف شيش
تخاف ما تختشيش
تعالي ...
لأ ما اجيش

أصل احنا شعب طيب
والطيبة فينا بلوي
تاخدنا من قريب

وتجيبنا كلمة حلوه

سامعين يا أهل البلد
ولاّ انفخ في النفير
يا البنت
يا الولد
يا المجدع الكبير
عارفين ماشيين منين
والسكة السالكة فين؟
ما اظنش

* * *

حاجة تقرف

استقبل الخواجة بوش –بشرطه– ضيفه السفاح الناشئ"توني بلير" في عزبة البوايشة بولاية تكساس الأمريكية، وهذا في حد ذاته لا يعنينا من باب"اتلم المتعوس على خايب الرجا". ولو لم يهتم التليفزيون الرائد بالموضوع ما كناش هرشنا ... لأن احنا بالذات اللي فينا مكفينا، لكن بقي تقول إيه في الفاضي اللى عامل قاضي!؟

بافتح يا خويا التليفزيون ... راح ناطط في وشي المؤتمر الصحفي تبع الخواجات بوش – بلير إخوان!

ويا سبحان الله ... تقول على ملامحه بوش جاب الغباوة دي كلها منين ... بينما لو مقفت شوية في خلفه السفاح الناشئ تقول خنزير وماشي ورا خنزير غبى. وتسأل المعلم الكبير يجاوب نص الإجابة، ويسيب النص الثاني لصبيه يكملها ... وكأنهم فرقة كورال حافظين النص واللحن وعاملين عليه تلاتين بروفه على الأقل. وعلى رأي المثل الشعبي"فولة وانقسمت نصين".

نفس الدم البارد والإحساس الدفين بالسعادة إزاء المجازر الوحشية التي يرتكبها مجرم الحرب"أرييل شارون" ضد أطفال ونساء وشيوخ فلسطين العرب، مسلمين ومسيحيين. وهذا في حد ذاته أجاب على سؤال الحيارى من أمثالي عن سبب حماس واندفاع بلير للمجازر التي ارتكبها بوش ضد فقراء أفغانستان: هل هي تبعية؟ أم شراكة؟. وحين توعد السفاح بوش شعب العراق بأن الدور عليه بعد أفغانستان وفلسطين، انبرى بلير يبرر هذا الجرم الوشيك.

وعند هذا الحد من المؤتمر –الشبيه بمجلس الحرب– كدت أن أتقيأ مصاريني من القرف ... فانسحبت من أمام التليفزيون ودخلت المرحاض (حاجة تقرف).

في عيد الآس

في عيد الآس
يا رب الناس
أشوف الورد متقطر
ودايب
فوق خدود الناس
تشمه النسمة تتعطر
بأنفاس الورود والناس
يا رب الناس

واشوف النيل بيتمخطر
دهب سايل
نغم للناس
يصب الغنوة في العالي
يفرّع منها ميت موال"
يقول عمي
يقول خالي
وينساب الربيع سلسال
أنا الياسمين
لناس باسمين
قلوبهم فل
لا نار ولا غل
ما دام عايشين
وفي البساتين
جداول قمح
بتدعي الكل
أنا الياسمين
أنا الياسمين
ويتمد البساط سندس
يشيل الحنة والنرجس
ونبدر يطلع النوار
وموال الكلام دوار
ما بين الناس يا رب الناس

ونكتب ياما ونسطر

كلام الناس
لكل الناس
وتسرى الكلمة وتعطر
نسيم بلدي عشان الناس
يشموا الورد متعطر
ودايب فوق خدود الناس
يا رب الناس

* * *

حجازى

حجازى الرسام ... فنان مصر العظيم، حاجة كده تفكرك بابو ذر الغفاري، ما بيغلطش! ولو عايز تعاشره حتتعب. واسألني أنا!! ما يناهز الخمسين عامًا الآن وهو من أهم رسامي الكاريكاتير العرب إن لم يكن أهمهم على الإطلاق، ومع هذا فهو بعيد كل البعد عن بؤرة الضوء الإعلامي والشهرة الاجتماعية!

صامت ... لا يجيد الكلام، وهو من أغزر الفنانين إنتاجًا وأقلهم ترفًا ورفاهية ... وأحيانًا يستدين للوفاء بالتزاماته تجاه أهله البسطاء، وحين تكاثرت عليه الديون وثقلت كان أصدقاؤه يعرفون ولا يتكلمون، لأنه لا يسمح لأحد حتى من أصدقائه بالتدخل في شئونه الخاصة. وذات يوم تجرأ أحد أصدقائه المقربين وقال له:

– وفيها إيه يا حجازي لو تسافر أي بلد عربي عشان تعمل قرشين تسدد بيهم ديونك.؟؟

فأجاب على الفور:

– هيّ مصر مش بلد عربي؟

* * *

البلى بم بم

البلى بم بم
والبلى باه
قال لك إيه؟
قال لك آه
شربة عجيبة من تركيبة
بلدي يا بلد البلى بلى باه
قال لك إيه؟
قال لك آه

شوف يا مواطن
شوف يا أمير
واسبق شوفك بالتفكير
ناس بيقولوا السر في بير
آدي البير
وآدي غطاه
والبلى بلى بم بم
والبلى آه
قال لك إيه؟
قال لك آه

قال لك أكل الفول بيقوّت
قال لك حشو المعدة يموّت
قال صهين قالك فوّت
كل ده كدب الناس كاشفاه
قال لك إيه قال لك آه

أي مواطن يا ولداه
زاده الفول لازم تلقاه
عنده البنكرياس بطال
والإمساك فوق الإسهال
عنده الرهقة عنده الدوخه
عنده أنيميا عنده عيال

قال لك ثم الجهل مصيبه

مولف ويا العيا تركيبه
تشرب منها تعطش تاني
تشرب تعطش تشرب تاني
تعطش تشرب خمسة في سته
مية نار لو طالت جته
لازم تلحس أثمن حته
يعني المخ يا خلق الله
وآدي البير وآدي غطاه
والبلى بم بم والبلى باه
قال لك إيه قال لك آه

قال لك تصبر على المكتوب
زي ما صبر النبي أيوب
يعني تسلم للمكروب
ياخد رزقه بفضل الله
يفضل ينحل وبرك لما
تتفرفط من وسط اللمه
خايب نخب السوس في عضاك
خلاّ قوايمك ما هي شايلاك
ويعالجوك الناس بالصبر
مع إنك عيان بالصبر
قومك صبر
ونومك صبر
لحد القبر ... يا حول الله
وحياتك م الدار للنار
تتولف عند العطار
يسقيك الحكمة ف أشعار
ويركّب م الصبر دواه
وتقربع والداء عمّال
في عضام الأبعد نحّال
وتخلف للبؤس عيال
وصبيه بهية يا ولداه
آدي البير
وآدى غطاه
والبلى بم بم

والبلى باه
قال لك إيه؟
قال لك آه

بعد الكشف بميكروسكوب
شفنا التوب وما تحت التوب
تشيكلة أمراض عشناها
وإليكم في الآتي دواها:

وجع الرأس جنعالجه بإيه؟
قال لك تدى الناس القوت
قال لك والجهل يا بيه؟
قال لك سيب الكلمة تفوت
طب والكلمة تفوت ازاي؟
قال لك لما الضلمة تموت
طب والظلمة تموت ازاي؟
قال لك لازم بالنبوت
والنبوت حنجيبه منين؟
قال لك لما نهز التوت
قال لك قدّر خفنا نهز؟
قال لك نشرب صبغة يوت
حتطهر أيوب من صبره
وتفجر كيد المكبوت
وتفوّق يونس من نومته
ويفلفص من بطن الحوت
آدي البير وآدي غطاه
والبلى بم بم والبلى باه
قال لك آه
وآدي وجعنا
وآدي دواه

* * *

محمد محمد محمد

في مطلع الستينات من القرن العشرين –الماضي– تشرّف بيتي المتواضع بحارة حوش قدم باستقبال الأستاذ وكيل النيابة الشاعر شريف المنياوي، وكانت أوراق اعتماده التي قدمها لجمهورية القاع هي هذه القصيدة الطريفة:

محمد محمد محمد صليب!
مؤلف أغاني
وشاعر أديب
يجوز راح تقول إن اسمه غريب
ولكن
ح أفهم جنابك قوام

محمد محمد ومسلم قوي
وممكن
يهودي لئيم ملتوي
وممكن
صعيدي ومن ملوى
وممكن منوفي
وممكن مدام!

وممكن يقول للبصل ... يا قمر!
ويحلف بأن البقر على الشجر
وفارش خدوده لعالم غجر
وجاهز قفاه
لاحتمال القلام
مؤلف أغاني
ولكن بلا
وكاتب وشاعر ويلعب جلا
وله في الحياة كلها مشكلة
ملخصها كلمة
ح تدفع لي كام!

وتدفع فيكتب أدب بالطلب
تعوزه حماسي
تعوزه طرب
تعوزه فكاهي
يقول لك وجب

كأنك في مسمط بتطلب طعام

ويعرف يزمر لكل العهود
ويمسك كمنجة ويضرب بعود
ولو مصر دي يحكمها اليهود
حيصبح يهودي
وممكن حاخام

وله حاسة سادسة
تشم الميول
وحافض كويس أصول الأصول
ويعرف يطاطي
ويعرف يقول
يعيش أي حاجة!
ويضرب سلام.

رحمة الله على شريف المنياوي ... ويا ترى لو كان عايش دلوقتي كان قال إيه؟

الهي ينكد عليكو ...

نَعيبُ زمانَنَا والعيبُ فينا// وما لِزمانِنَا عيبٌ سِوَانا

تذكرت هذا البيت ذات مرة بشدة وأنا أشاهد مدرجات إستاد القاهرة مكتظة بالجمهور المسكين ... الذي نسى ما حدث في"مالي" للكرة المصرية التعيسة، وذهب بمحض إرادته بعد النكسة بأسبوع لمشاهدة مباراة الأهلي والمقاولون العرب في الإستاد..!!

المباراة كانت آخر مؤجلات الأهلي في الدور الأول لدوري العاهات المريض في ذلك العام ... والذي يزداد كل عام هزالاً ومرضًا منذ أن بدأ عام ١٩٤٨.

والذين لم يذهبوا للإستاد لسبب أو لآخر –وأنا أولهم– تركوا كل شيء وأي شيء وجلسوا أمام الصندوق اللعين المعروف باسم التليفزيون بحثًا عن المتعة التي لم يتبق لفقراء مصر غيرها في عصر"التشفير إلى حد التكفير".!!

هذا وقد صرّح الكوتش الدولى"أحمد رفعت" قبل المباراة بأن فريقه –اللي هو المقاولون –جاء إلى الإستاد من أجل تعويض الجماهير العريضة عن خيبة"مالى"، وبالتالي إعادة الثقة المفقودة في الكرة المصرية!

وبيني وبينك أنا عن نفسي صدقت –تاني– أنهم اجتمعوا في السر مثلاً وصلحوا الفكر المصري ... وأنهم عاملين لنا مفاجأة تخرجنا شوية من حالة الحزن العام اللي محاصرنا من جميع الجهات –الأصلية والتقليد– ... وليه لأ؟ ما همه برضه مصريين زي حالاتنا ... غير بس طمع النفس الإنسانية هو اللي مفرق بينا!!

قلت في عقل بالي:

– يا واد ما تبقاش سيئ الظن وحقودي وقلبك أسود واستنى للآخر وبعدين أحكم ... مش يمكن ربنا هداهم وعرفوا أن"الكفن ما لوش جيوب" ... خصوصاً بعد ما انتخموا وحيبطلوا بقى سرقة ويشتغلوا بذمة ويحاولوا يصلحوا كل حاجة بما في ذلك الكورة..!!

القصد قعدت مع كوكبة من الأصدقاء الأهلوية بعد ما بُحْت لهم بمكنون ضميري ... وهمّا صدقوني فورًا.!

ودارت العجلة ... ونستني يا مواطن إن احنا نشوف الكورة بعد تصليحها ... أبداً. نفس العك ونفس الهزال والمرض واحنا قاعدين يا ولداه زي اللي مستني السمنة من"بز" النملة ...

وانتهت المبارة بعدما أصابتنا بالاكتئاب وبتنا ليلتها متنكدين ...

وربنا بحق جاه النبي ينكد ع اللي منكد ع المصريين، في مجالات الحياة.

* * *

لون شعر سيادته

تصوروا الصحافة الألمانية بجلالة قدرها ووكالات الأنباء العالمية على اختلاف لغاتها ... أضف إلى هذا الكثير من القنوات الفضائية في أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. كل هؤلاء مشغولون هذه الأيام بلون شعر المستشار الألماني جيرهارد شرودر!! وهل شَعْر سيادته البني الغامق هو نفس الشعر المولود به المستشار، أم أن ما يحمله المستشار الآن على رأسه مجرد ألياف صناعية مضروبة في الخلاط لإخفاء العمر الحقيقي للمستشار عن الخصوم السياسيين، وأيضاً عن بعض الحسناوات اللواتي يهواهن المستشار؟!

ولم يفت خصوم المستشار السياسيون هذه الفرصة فشهروا به واتهموه بالكذب على الناس وعلى نفسه ... وتحولت الحملات الانتخابية التي تجرى في ألمانيا على منصب الرئاسة الآن إلى فضيحة بجلاجل للمستشار المتصابي الذي يكذب على الناخبين والحسناوات؟

واضطر أنصاره إلى رفع الأمر للقضاء في قضية هم أول من يعلم أنها خاسرة ... لأن المستشار بالفعل يصبغ شعره ويفرده، ربما بيفرد وجهه كمان.. ولكن أنصار المستشار الألماني ربما أرادوا برفع هذه القضية كسب بعض الوقت، وربما لتشتيت الهجوم الضاري على المستشار المفرود ذي الشعر الملون.!!

* * *

لغة شعبية؟

فـي مجلـس حريمـي نميمـي ترأسـته الـدرة المصـونة والجـوهرة المكنونـة السـت"أم زينـب" حرمنـا المصـون فـي عقـر بيتـي المتواضـع ... تجلّت عبقريـة حواء المصرية في فن النم، وأخذت النَّمّامات الفاتنات تنتقل من موضوع إلى آخر برشاقة فراشات الربيع وهن في قمة الفرح والسعادة!

ولقد حاولت قدر طاقتي أن أخرج بموضوع كامل، ولكن هيهات كما يقول الإخوة النحاة، هيهات هيهات، وبمنتهي التركيز خرجت من المجلس ببعض شذرات من الحوار المتداخل فمثلاً:

قال بكرة نقعد على الحيطة ونسمع الزيطة.

يا ختى دا بيقولوا جايب تلات أوض على الحديث الجديد.

وحتفرشهم فين يا حسرة.

وغير الشبكة أربع تعابين بندقي في كل إيد اتنين.

شوفي يا ختى الهبلة ... إنت برضه بتصدقي أم منى؟ دي معارة طول عمرها.

يا ختى احنا مالنا! اهيّ هيّ اللي بتقول.

اسكتوا مش أبو صلاح الفرارجي تعيشوا انتو.

يا عيني ... لا إله إلا الله.

دا لسه صغير يا حبة عيني.

مات امتي يا أم سمر؟

خَرْجِته بعيد عنكم كانت امبارح.

تلاقيه مات في حادثة.

لأ دا بيقولوا جاله الله أكبر في لا مؤاخذة.

يا ولية اتقي الله حرام عليكي.

ياختى حرمت عليكي عيشتك ... يا للا خلينا في حالنا ... احنا مالنا ومال سيرة الناس. خلينا في حالنا.

* * *

مروان البرغوثي

ظروف وتوقيت عملية القبض على الزعيم الفلسطيني مروان البرغوثي تطرح مجموعة من علامات الاستفهام والتعجب سوف تجيب عنها الأيام القليلة القادمة. ولأن رائحة الخيانة تنبعث من كل الاتجاهات، فليس أمامنا سوى الانتظار، وعلى رأي المثل الشعبي المصري: يا خبر النهاردة بفلوس بكرة يبقى ببلاش. وعلى العموم كل الاحتمالات واردة بالنسبة لمصير مروان البرغوثي بعد أن سقط في يد السفاح أرييل شارون الذي يذكّرني دائماً بالمثل الشعبي الذي يقول"ما تستكترش الرفس على البغل النجس".

ولن يكون مروان البرغوثي هو أول أبطال الشعب الفلسطيني ولن يكون آخرهم ... فكل نساء العالم يلدن للحياة فيما عدا المرأة الفلسطينية التي تلد للشهادة والمجد.

كل المجد لهذا الشعب المجيد ... لهذا الشعب النبيل الذي يدافع عن الحق والخير والجمال والموت، والعار لكل أعداء الحياة بقيادة الثنائي المعاصر شارون – بوش.

* * *

شكرا شارون!

تصوروا! وجدت نفسي أو ضبطت نفسي متلبساً بتوجيه الشكر لأرييل شارون سفاح القرن الحادي والعشرين الأشهر.

ولقد منعت نفسي أكثر من مرة من ارتكاب هذه الحماقة ... حماقة شكر شارون، لأن جرائمه كانت أقسى ألف مرة من نطاعة بعض الحكام العرب وتخاذلهم وطناشهم عمّا يجرى للشعب الفلسطيني الشقيق بغض النظر عن انتهاك مقدسات المسلمين والمسيحيين في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة. فهذه أصبحت الآن مقدسات متحفية ومقدسات سياحية بعد نشوء وصعود البيت الأبيض الأمريكي في واشنطن عليه السلام.

ولأن شارون أَبَى ألا أن ينتزع مني الشكر والإعجاب حين قامت قواته بهدم السجن الملحق بمجمع الرئاسة الذي يسكنه الرئيس عرفات قائد الثورة الفلسطينية!

طب بذمة النبي حد كان يصدق إن الأخ أبو عمار لِحق بَنَى سجن فيما يسمى بأراضي السلطة الفلسطينية..؟؟!!!!!

ملايين ملايين ملايين

يا خويا ... كل كام يوم كده نقرا ونسمع عن بيع وشرا وصفقات بالملايين، وكأننا مش في مصر ...!!

يعني مثلاً يقول لك:"الزمالك يجدد للتوءم حسام وإبراهيم حسن". وفي مقدمة الخبر نقرا أن التوءم الوفي لنادي الزمالك لم يتحدث في المادة أبداً ... وأنه وقع على بياض.! وبعدين نقرا المبلغ اللي هيدفعه الزمالك للتوءم فنكتشف أنه مليون جنيه لكل"فردة" من التوءم!

وبعدين نقرا إن"مُدافع المقاولون العرب رامي سعيد يرغب بشدة في اللعب للنادي الأهلي لأنه من أسرة أهلاوية ... ومش مهم المادة" ...!! ثم نفاجأ بأن النادي الأهلي دفع لنادي المقاولون العرب مليون جنيه ... ومليون جنيه أخرى لرامي سعيد الأهلاوي ابن الأسرة الأهلاوية ...!!

وبعدين نقرا إن"الأهلى يستغني عن إبراهيم سعيد اللي لسه لاهف مليون جنيه عند توقيع العقد بخلاف اللى من تحت الترابيزة" ... وأيضًا" سوف يستغني الأهلى عن سعيد عبد العزيز اللي اندفع فيه مليون جنيه عند انتقاله للأهلي من نادي غزل المحلة" ...!!

ولو فتحنا هذا الملف، فربما يصاب القارئ العزيز بأحد أمراض ضغط الدم – لا قدر الله ... لكن أنا عندى فكرة نميسة ممكن لو اتنفذت ينوبنا من الحب جانب. يعني مثلاً أنا مُشجع أهلاوى من عام ١٩٤٥ ... فهل من الممكن انتقل لتشجيع نادٍ آخر ولو على سبيل الإعارة مقابل خمسين ألف جنيه مثلاً؟

أنا ما عنديش مانع ... ويا أيها السماسرة العرب: مشجع أهلاوى يرغب في اللعب لنادٍ آخر، وبأسهل الشروط، خابرونا تجدوا ما يسركم ...!!

والله أكبر ويحيا الثبات على"المبلغ" ...!!

* * *

المبتزون وعمر دياب

بداية ... أنا لست من المعجبين بما يقدمه عمرو دياب تحت عنوان –الأغنية الشبابية ...!! وقد أعلنت هذا الموقف أكثر من مرة في الصحافة والقنوات الفضائية العربية ... ومازلت متمسكًا بهذا الموقف حتى كتابة هذه السطور. ولكن موقفي هذا لم يمنع هذا الشاب النابه من النجاح الساحق الذي حققه في مجال عمله محليًا وعربيًا، ففرض علىّ احترامه ... لأنني أحترم الناجحين عن طريق الإخلاص في العمل في كل المجالات.!

وفي الأيام الأخيرة انطلقت بعض الأقلام المشبوهة في حملة صحفية ضارية بحجة أنه هاجم عبد الحليم حافظ وأم كلثوم وغيرهما ... وهذا في ذاته نوع من التجديف ينبغي إقامة الحد على مرتكبه، كما حدث مثلاً مع الدكتور نصر حامد أبو زيد، وجاليليو وغيرهما من بني البشر الذين شقّوا عصا الطاعة على المسلمات الغبية وأعلنوا عن عدم اقتناعهم بنظام القطيع.

من الواضح أن الذين يهاجمون عمرو دياب ويطالبون برأسه لا يفعلون هذا من باب الدفاع عن أم كلثوم وعبد الحليم أو الحرص عمّا يسمونه الرموز الوطنية. ولكن المسألة مجرد ابتزاز عن طريق الإرهاب الإعلامي ... عسى أن ترتعد أوصال عمرو دياب فيقوم بـ (رشة جريئة) على هؤلاء الذين حولوا القلم إلى –قرن غزال– لقطع الطريق على المارة وابتزاز أموالهم ... وأنا حتى الآن أحترم إقدام عمرو دياب على الجهر برأيه فيما يسمى بالرموز، وسوف يزيد احترامي له ومساندتي إياه إذا ثبت على موقفه في وجه المبتزين وقطاع الطرق ... ولتحيا الحرية ولتسقط محاكم التفتيش.

استقبال الأبطال!

في مطار لشبونة الدولي هبطت طائرة التي عادت من المونديال بفريق البرتغال –برازيل أوروبا– بعد خروجه المهين من دور الـ ١٦ على يد فريق كوريا الجنوبية.

وفي بهو المطار اصطفت قوات ضخمة من الأمن البرتغالي لحماية الكباتن من بطش الجماهير، وقد نجحت هذه القوات الضخمة في منع الجماهير من الفتك بأعضاء الفريق وجهاز تدريبه ولكنها لم تستطع حمايتهم من ألسنة الجماهير الحادة. وكان يتقدم الطابور المهزوم رئيس الاتحاد البرتغالي لكرة القدم فكان نصيبه لطمة على وجهه الكريم، وصرخة في وجهه بصوت نسائي: يا قواد!

وهتفت الجماهير في وجه اللاعبين: إلى الجحيم!

ياما كان في نفسي أن يحظى منتخبنا الموكوس بقيادة الكوتش محمود الجوهري بمثل هذا الاستقبال ..."استقبال الأبطال" ...!!

* * *

إيه الحلاوة دي؟!

إذا كان من حق الأهلاوية أن يسعدوا بالمستوى الرائع الذي بلغه فريق النادي الأهلي في المباريات الأخيرة من الدوري العام، خصوصاً مباراتي الأهلى –الزمالك، والأهلى– الإسماعيلي ... فإن جمهور الإسماعيلي من حقه بالمقابل أن يفخر بفريقه الجميل الرائع الذي يجلس حتى الآن على العرش مناصفة مع النادي الأهلي –نادي القرن– ومحتكر بطولة الدوري العام المصري منذ إنشائها سنة ١٩٤٨ تقريباً.

لقد قام الفريقان"الأهلي والاسماعيلي" مباراة كرة قدم رفيعة للعبة الشعبية الساحرة على أرض إستاد القاهرة. وأمام أكثر من ٩٠ ألف مشجع إسماعيلاوى زحفوا من المدينة الجميلة إلى القاهرة خلف فريقهم الجميل الرائع. وأنا مشجع أهلاوى قديم منذ نهايات الأربعينات من القرن العشرين الماضي، وأشهد أن المباراة التي انتهت بتعادل الفريقين ٤–٤ هي واحدة من أمتع وأجمل مباريات الكرة المصرية إن لم تكن أمتعها وأجملها على الإطلاق.

وبغض النظر عن جمال الأداء ومتعة وآثار مشاهدة ثمانية أهداف جميلة تدخل شباك الفريقين، فلقد كانت متعتي الحقيقية بالروح القتالية التي تمتع بها كل لاعبي الفريقين الأساسيين والاحتياطيين التي –وهذه في رأيي– هي القمة الحقيقية لكرة القدم المصرية ...!!

لكن يبقى سؤال جوهرى: إذا كان ما شاهدناه على أرض إستاد القاهرة يوم الاثنين ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٢ صناعة مصرية ... طيب أمال المنتخب الموكوس تبعنا جنسيته إيه؟؟!!

* * *

وداعًا أسامة خليل

أخيرًا توقف القلب الصاخب عن الشغب والاعتراض، ورحل أسامة خليل أحد قادة الانتفاضة المجيدة لطلاب مصر المحروسة في مطالع السبعينيات من القرن العشرين الماضي.

رحل الفارس النبيل تاركًا أسلاب ومغانم المعركة لغيره من الشطار ... أما هو فقد انطبقت عليه مقولة عنترة بن شداد:

هَلا سَأَلْتِ الخيلَ يا ابنةَ مالك
إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
يخبرك مَنْ شَهِد الوقيعةَ أنني
أغْشَى الوَغي وأعْفُ عند المغْنمِ

ولقد فاضت روحه في مستشفي أحمد ماهر مساء يوم الاثنين ٢٩ أبريل سنة ٢٠٠٢ بعد صراع طويل مع المرض والإحباط بعد أن رأي رفاق طريق الأمس يتمترسون اليوم في مواقع الخصوم دون أن يفهم لماذا؟ لسبب بسيط جدًا ... هو أنه جاء ورحل دون أن يتعلم حساب الربح والخسارة.!

وداعًا أسامة خليل صديقي الذي سوف افتقد برحيله كلمة"لا" شرف الإنسان وهويته الأصلية.

وداعًا لأجمل صخب وأشرف شغب وأحلى اعتراض.

وداعًا أبو أمير ...

وداعًا يا صديقي الحبيب.

* * *

بنية

الشاعرة كريمان سالم شاعرة واعدة ... انتظروا وتذكروا هذا الاسم جيداً ... وترقبوا صعود هذا النجم في سماء شعر العامية المصرية حيث سيغمر ضياؤه أرض الوطن من أقصاه إلى أقصاه ... وإليكم واحدة من إبداعاتها ...

عمايز ...
فوق أراضي الناس ومبنيه
وأنا لسه يا دوب قلبي بيتنهد
في بنيه
وأنا لو قلت مش ح أحلف
دا يرجع برضه للنيه
ودايماً قلبي يتعايق
وخايفة يسيبني وحديّا
يقول لي خلاص
مانيش قاعد
خلاص العشق فاض بيّا
ح أقول في القلب دا حكايه
وأغنيه
وأنا الغلطانة مش إنت
ومين إنت عشان تغلط
ما أنا ... إنت
لكن يا قلبي معلشي
ح أشيل الذنب في عنيّا
وذنبي أني حبيتك
وحبك من حواليّا
وحواليّا
كتير بيعيشوا ويغنوا
عليك إنت
ومين إنت
وليه الدنيا يا حبي
بتسرق مني لياليّا
وبيموت الحنين فيّا
صبحت يا قلبي مش عارفه
لفين القصد والنيه
عشان الخطوة تمشيلك
ونبقي هناك سواسيه

خضار الزرع والميه
وأنا وانت
حنبقي شهود على الفرحه
ونوفي وعود
ولا نصادف عيون جارحه
وتوعدني وأنا أوفى لك
وتسمعني وأنا أحكيلك
وتبني لي وأنا ابني لك
في آخر الدنيا ...
بنيه ...

* * *

عيد عمال بحق وحقيقي

الدكتور المهندس نادر رياض صاحب ومدير شركة بافاريا ... نموذج رائع للإنسان المصري (كريم العنصريين) الذي (بني المجد بين الأهرامين) كما جاء في مسند عمنا بيرم عليه السلام ... دعاني –مشكوراً– لحضور احتفالات بافاريا بعيد العمال العالمي في إحدي قاعات دار الأوبرا المصرية. وأنا بطبيعتي ضعيف أمام أي لقاء بعمال مصر المحروسة فلبيت الدعوة فوراً ودون تفكير.

وهناك رأيت عمال بافاريا وهم يحتفلون بعيدهم فوددت أن أرى كل عمال بلدي هكذا.

وبدأ برنامج الحفل بفرقة الموسيقى العربية بقيادة المايسترو سليم سحاب الذي كان كريمًا معي حيث طلبت إليه أن يُسمعنا شيئًا من إبداع المجدد العظيم محمد القصبجي الخالدة (ذكرياتي) التي ألهبت الأكف من التصفيق وانتزعت آهات الإعجاب والاستحسان من الصدور والحناجر، ثم التقينا بجبروت وإعجاز الإنسان المصري المتمثل في فرقة فتيات النور والأمل الكفيفات. ولست أدرى حتى الآن السبب الحقيقي وراء الصمت المضروب حول هذه الفرقة"المعجزة" ذات المستوى العالمي، حسب التعبير الذي يحلو لنا أن نطلقه على أي شيء وكل شيء عندما نريد المنظرة والتعالم؟!

وإذا كانت الثقافة قد تحولت في عهد الفنان فاروق حسني وزير ثقافة مصر المحروسة إلى نوع من النشاط الاستثماري ... فلماذا لم يطبق هذا المنهج على هذه الفرقة التي لم تفلح الآلات الموسيقية الجديدة ولا –هدوم الشغل– في إخفاء حالة الضنك التي تعيشها، والتي تبدو بمنتهي الوضوح على مايسترو الفرقة الذي يعاني من الضعف الجسدي والهزال وكأنه –لم يتناول طعامًا –منذ عشر سنوات مثلاً.!!

لقد كانت الليلة الأولى من ليالي شهر مايو سنة ٢٠٠٢ بالنسبة لي سياحة في المجهول الذي منحني قدرًا من الدهشة كنت في مسيس الحاجة إليه ...

وشكرًا يا دكتور نادر على دعوتك الكريمة التي اتاحت لي هذه السياحة المدهشة في ليلة كانت"عيد عمال بحق وحقيقي".

* * *

خلع ... يخلع

رفعت الزوجة الشابة قضية –خلع– على زوجها الشقيان. وكانت الأسباب التي دفعت الزوجة لطلب الخلع من زوجها غاية في الغرابة!

فقد زعمت الزوجة في عريضة الدعوى أن المذكور لم يكلمها منذ ثلاثة سنوات!

وأَمام قاضي الأحوال الشخصية مَثَل الزوج البائس، بعد أن نادى الحاجب على اسمه وأجاب. سأله القاضي:

– أنت فلان الفلاني؟

– أي نعم يا سيادة القاضي

– الست فلانة الفلانية تدعي أنها زوجتك ... هل هذا صحيح؟

– صحيح يا سيادة القاضي

– وهي تدعي عليك بأنك لم تكلمها منذ ثلاث سنوات هل هذا صحيح أيضًا؟

– صحيح يا سيادة القاضي

فقال القاضي مندهشًا:

– ثلاث سنوات لم تكلمها!

– نعم يا سيادة القاضي

– ليه؟

فأجاب الزوج بمنتهى الهدوء

– مش مدياني فرصة يا سيادة القاضي!!

* * *

بيانات على تذكرة مسجون

الاسم: صابر
التهمة: مصري
السن: أجهل أهل عصري
رغم انسدال الشيب
ضفاير ضفاير
من شوشتي لما لتحت خصري

البشرة: قمحي
القد: رمحي
الشعر: أخشن م الدريس
لون العيون: أسود غطيس
الأنف: نافر كالحصان
الفم: ثابت في المكان ولما جيت
أزحزحه عن مطرحه كان اللي كان

المهنة: وارث عن جدودي والزمان
صنع الحضارة والنضارة والأمان
جهة الميلاد: في أي أوضة مضلمة
تحت السما على أرض مصر
من أي دار وسط النخيل
مطرح ما يجري النيل
ما دام ما يكونشي ... قصر
الحكم: من سبع تلاف سنة
وأنا راقد سجين
أطحن على ضراسي الحجر
من الضجر
أبات حزين

الإفراج: سألني سائل
حبستك طالت ... وليه؟
– لأني طيب وابن نكتة
وابن إيه
ما فيش مخالفة ركبتها ضد القانون
لأني خايف

والقانون سيفه في إديه
تسأل على المخبرين في أي حين
تسمع وتفهم قصتي
ألف وبه
الاسم: صابر ع البلا أيوب ... حمار
شيل الحمول من قسمتي والانتظار
أغرق في أنهار العرق طول النهار
ألِم همي في المسا
وأرقد عليه
عرفت ليه؟

* * *

سمنطر

اتجه"سمنطر" صديقي القديم إلى ميدان التحرير بعد ما عمل دماغ بانجو من الوزن الثقيل. وعند مسجد عمر مكرم كان السرادق يتلألأ بالكهارب ... فتوجه سمنطر نحو الأضواء وسأل أحد الواقفين:

– هو ده مولد الحسين يا بلدينا؟؟

فضك الرجل وقال لسمنطر:

سلامتك ده أربعين ميت

فقال سمنطر مندهشًا:

– حادثة بقى

– يا جدع حادثة إيه ... ده واحد ميت بقاله أربعين يوم

فقال سمنطر مندهشًا:

– ولسه ما دفنتوهوش

– يا جدع دفناه من أربعين يوم

فقال له سمنطر:

– يا اااه ... ولسه واقفين من ساعتها ...!!

وليلتها بات سمنطر في قسم قصر النيل.

* * *

صوفيات

كان الإمام عبد الوهاب الشعراني كلما مر على سيدي على الخواص يقول له تلك العبارة بصوت مسموع:" ما اتخذ الله من ولي جاهل".!

وهو يقصد معايرة سيدى علي الخواص بأنه أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب! وكان دائمًا لا يتلقى ردًا على جملته هذه، فيمضى في حال سبيله مختالاً بالانتصار على هذا الخواص الأمي الذي يسبقه في طريق السالكين.

وذات ليلة من ليالي الصفا أراد الإمام الشعراني أن يواقع امرأته –زينب– التي تصغره بأربعين عامًا ... فتمنعت عليه من باب الدلال ... واشترطت عليه أن يحملها على ظهره ويلف بها الحجرة سبع لفات حتى تمكنه من نفسها ...!! وقد كان.

وفي ضحى الجمعة ... كان الإمام الشعراني في طريقه للمسجد حين مر على سيدي علي الخواص"المكشوف عنه الحجاب ... وقال له جملته المعهودة:"ما اتخذ الله من ولي جاهل" ...

ولأول مرة يتلقى الرد الذي قاله سيدي على الخواص دون أن يرفع بصره عن يده:

– اتخذه ... وعلمه ... يا حمار زينب.!!

***

بس آه يا شارون

تصدق وتؤمن بكام؟ على افتراض أنك بني آدم بتشوف وتسمع وتفهم وتحس ... عارف إيه اللي حايشنى عنك؟ أوعى تفكر أن أنا مؤدب ومتربي وباختشى العيبة لأن العيب في زمن العيب ما يبقاش عيب، يا قتال القتلا يا عدو الزهور والأطفال يا عاهة مستديمة يا رقعة في توب الحيا ... أدمنت قتل الأطفال وقلنا مريض وافراز كيان مريض والزمن كفيل بأمثاله ومدد يا سيدى عبد الرحمن تقصف لنا عمره على وجه السرعة ...

وسيدى عبد الرحمن هو عزرائيل الموت اللي اتاخر عليك (يمكن لحكمة إلهية واللهم لا اعتراض) ... لكن يبلغ بيك الفجر إنك تعرض حضور مؤتمر القمة العربي بالنيابة عن (أبو عمار)!؟

للدرجة دي إنت بتتمهزأ بينا؟ ولا الكلام دا صحيح واحنا اللي نايمين في العسل؟

ما تفهمنا يا شارون وتخليك بنى آدم ولو لمدة خمس ثواني من عمرك الرذل ... إنت فعلاً كنت عايز تحضر مؤتمر قمة بيروت؟ ولا ده نوع من كيد النسا.؟؟!!

تعرف؟ أنا كنت محضر لك بقين يليقوا بمقامك ...

بس آه ... لو ما كانتش الرقابة هاتمنعني بحجة عدم خدش الحياء العام.

* * *

مش عايز أفهم

يا ترى يا هلترى هل الناس كلها"ضربت" من حيل اللي بنشوفه في هذا الزمن المدوحس؟! ولا أنا اللي اتخلفت عن الركب وما بقيتش فاهم لغة هذا العصر، زي فتية أهل الكهف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم وفي مسرحيات توفيق الحكيم؟

قاعد في أمان الله ولسه بأقول يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ... وإذ بالسيدة حرمنا المصون تفتح التليفزيون عشان المسلسل ... فيطلع في وشها المحاور التليفزيونى الشهير، مستضاف في برنامج على القناة الأولي ...!!

وسألته المذيعة –صاحبة المطرح– عن رأيه في الشهيدة الفلسطينية"آيات الأخرس" التي فجرت شبابها وجسدها في لحظة تاريخية دفاعًا منها عن الأرض والعرض والشرف العربي المسفوح ... فأخذ الضيف نفسًا طويلاً وعميقًا قبل أن يقول:

– يااااه يا منى ... أهو إنتي دلوقتي فكرتني بحليم!!

فسألت أم زينب:

– حليم مين؟

فنهرتني قائلة:
– يا أخي اسمع.
أتاريه بسلامته بيتكلم عن صديقه العندليب الأسمر الراحل عبد الحليم حافظ ...!!
وعدت أسأل أم زينب:
– لكن إيه علاقة حليم بآيات الأخرس؟
قالت لي بقرف:
– ما هو أنت لو تسمع حتفهم.
وسمعت ...
– آه لو كان حليم موجود دلوقتي يا منى
وقالت منى:
– طبعًا طبعًا
– ما كنش اللي بيحصل ده بيحصل ... لكن تقولي إيه بقى للزمن؟
وتجاسرت وسألت بصوت عالى:
– هو فيه إيه يا أم زينب ... أنا مش فاهم حاجة خالص.!! إيه اللي لم الشامي على المغربي؟
وأجابتني أم زينب بقرف:
– ما هو انت لو بتقعد قدام التليفزيون زي مخاليق ربنا كنت فهمت وعلى الفور غادرت المطرح وأنا أقول بصوت مسموع:
– يفتح الله ... مش عايز أفهم.

* * *

السبوبة بالشيء

هل كان شاعر العرب الأعظم أبو الطيب المتنبي يعنينا الآن ... عندما قال جملته الخالدة:"مصائب قوم عند قوم فوائد"؟؟ راودني هذا السؤال وأنا أستمع للمطرب إياه وهو يغني للقدس وكأنها فينسيا أو مونت كارلو.!!

إذن لقد دخل التليفزيون الرائد إلى معمعان المعركة على نهج المرحوم أحمد سعيد ... ولكن بالنسخة الشبابية المنقحة! وقبل أن أستكمل دهشتي داهمني المطرب"المرخوخ" بأغنية أخرى لم أفهم منها إلا كلمة القدس. وتبعه الحج محمد منير بعد التعديل ... وكنت قد قرأت أنه بعد عودته من الأراضي الحجازية يعد أغنية دينية يؤكد بها توبته وعودته لحظيرة الإيمان! (فقلت في عقل بالي) مرحى مرحى أو بخ بخ ... أو شيء من هذا القبيل.

وحين قرأت اسم كوثر مصطفي كمؤلفة استبشرت خيراً ... لأنها أحيانًا تأتي بجملة غير مسبوقة، وأنا أحب هذا النوع من الكتابة. ثم بدأ الحاج محمد يقول: مدد مدد مدد ... مدد يا رسول الله. وهي عبارة خارج النص لأنها مستعملة وشائعة منذ مئات السنين. وانتظرت جديد كوثر مصطفي كما يفعل البعض حين يأخذون المطلع الفلكوري ويغزلون عليه الكوبليهات ... وكانوا أحيانًا يحالفهم التوفيق كما هو الحال مثلاً في أغنية مجدى نجيب الرائعة (غاب القمر يا بن عمي) التي لحنها الموجي للرائعة –شادية– فحولتها إلى قطعة ثمينة من الموروث الغنائي الخالد لشعب مصر المحروسة.

قول يا عم الحاج منير ... وإذا بعم الحاج لاطش أنشودة موالد قديمة كان مطلعها:

أقسمت بالفجر
والليل إذ يسرى
يا طلعة البدر
عليك صلى الله

وهي من التراث الصوفي المصري ... ولكن لأن لا الحاج محمد ولا الحاجة كوثر لهما علاقة بالتراث الصوفي، فقد وقعا في خطأ ساذج ومضحك لأنهما يقولان في أحد الكوبليهات

أقسمت بالحاميم

وبسورة التحريم

أنّي صبحت سقيم

في حب رسول الله

وصحتها يا حجاج:

أقسمت بالحواميم

وبسورة التحريم

أني غدوت سقيم

في حب رسول الله ...!!

نرجع بقى لمولد سيدي القدس ... اللي ناصبه التلفزيون الرائد من باب (السبوبة) بالشيء ... حتى لو كان هذا الشيء هو المجازر التي يقيمها مجرم الحرب السفاح (شارون) بمباركة ومساعدة قتال القتلى السفاح (بوش المنقح) ... صدقوني لو كان المتنبي لسه عايش كان قال:

"مجازر قوم عند قوم فوائد" ...!!

* * *

اللي فاهم يفهمني

في إحدى مباريات الدوري عام ٢٠٠٢، التقي فريقا الزمالك والإسماعيلي في مباراة جميلة انتهت بفوز دراوي الإسماعيلي على عتاولة ميت عقبة ٤–٣. تصور سيادتك سبعة أهداف جميلة تضمنتها مباراة واحدة من مباريات الدوري المصري منخفض التكاليف والمستوى!

ثم توج هذا العرض الجميل بتخصيص دخل المباراة لأسر ضحايا قطار الصعيد الذي لابد أنكم تذكرونه.

وهذا سلوك ليس غريباً على شعب المحروسة ...

لكن الغريب بالفعل هو الزج باسم الأستاذ إبراهيم سعده رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم! حيث أعلنوا أن المباراة تحت رعاية الكاتب الكبير إبراهيم سعده! وقال مذيع المباراة أن"هذا هو إبراهيم سعده"!! بينما ركز مخرج المباراة على مجلس الأستاذ إبراهيم سعده في المقصورة!

وحتى الآن أنا مش فاهم ... هوّ فيه إيه؟؟

هل مثلاً تبرع إبراهيم سعده بمبلغ مليون جنيه من جيبه الخاص لأسر الضحايا؟ طبعًا ما حصلش ...

هل بادرت مؤسسة أخبار اليوم وهي من أملاك الأستاذ إبراهيم سعده بتعيين عدد من أبناء ضحايا القطار؟ برضه طبعًا لا ...

طيب أمال إيه اللي حشر إبراهيم سعده في مانتش كورة؟؟

اللي فاهم يفهمني لأني بصراحة ربنا ... ... غبي

* * *

شعب فلسطين المقاتل

أمشير على نجعنا
والريح بتصفر صفر
كل الدروب صفصفت
ما في حدا في الكفر
غيرك يا عود الزان
يا طرحة الأحزان
جلبي عليك انشغف
ونا جلبي دا خزان
فيه الرفاقة العزاز
بستان وضليله
ونصل خنجر خيانه
غوط في ذات ليله
وفيه صبايا حلالك
يا واحد العيله
خايفين عليك تتكسر
ونجدد الأحزان

يا بطل العالم
يا شعب فلسطين

* * *

طظ ... يا عاشور

تراث طويل من اللوع ولعبة"حاوريني يا طيطه"و" ودنك منين يا جحا" ... تلك هي العلاقة بين الشعب المصري وبين سائر الحكومات التي تعاقبت عليه منذ إنشاء أول وأقدم دولة في أحضان النهر الخالد ... هنا على أرض مصر المحروسة التي هي (كنانة الله في أرضه ومن أرادها بسوء قصمه الله ...) ...!!

فمن جانب ... ترى جميع الحكومات ومنذ كهنة آمون أن هذا الشعب شعب لبط ولئيم وصاحب طرق جهنمية في تدكين المصارى وادعاء الفقر والاستهبال ...!! ومن جانب آخر ... يرى الشعب المصري أن الحكومة والبلهارسيا والجراد الأصفر ودودة القطن هم ألد أعدائه من باب (يا واخد قوتي يا ناوي على موتي) ...!!

وانطلاقًا من هذه الرؤية ... صاغ الفلاح المصري الفصيح أمثاله الشعبية الخالدة مثل (إن كان دراعك عسكري ... اقطعه) و (الأيد اللي ما تقدرش على قطعها بوسها) و (إن حكمك الندل طيعه ... وأن حكمته أدبه) و (اللي يجوز أمي ... يا عمي) ... إلى آخر هذه السلسلة التي لا تنتهي من الحكم والمواعظ والإرشادات التي يلقنها فلاح النيل لطفله وهو في المهد حتى يعرف كيف يواجه ويتعامل مع هؤلاء الأفندية اللصوص الذين لا يشبعون ولا يتوقفون عن اختراع واستحداث الحيل والألاعيب الشيطانية لابتزازه وشفط عرقه الذي لا يجف.

ولقد كانت لعبة ضريبة المبيعات لصاحبها ومهندسها المدعو محمد بك الرزاز هي آخر الحلقات في سلسلة"طلع اللي في جيبك وصلي ع النبي" ... ولقد كان الاستعمار التركي صاحب باع طويل في لعبة ابتزاز شعب مصر وتنظيف جيوبه، حتى أنهم

فرضوا الضرائب والإتاوات على كل شيء ... بما في ذلك الجلاليب والطواقي والبُلغ وجميع أنواع المداسات! ووضعوا الكمائن واللجان على جميع أبواب القاهرة لتحصيل الضرائب و"المكوس" من الداخلين إلى المدينة والخارجين منها!

ولا يعرف أحد حتى الآن: لماذا استثني الجباة الأتراك ملح الطعام فقط من الضرائب والإتاوات والمكوس!؟

ولكن الشعب المصري –كعادته– عرف كيف يستفيد من هذا الاستثناء فاختار اغلظ الجباة وأغباهم ... وكان اسمه عاشور، وكان يقف على بوابة رئيسية من بوابات القاهرة، ومارس معه وعليه لؤم الفلاح المصري ... فكان المارة يملئون أوعيتهم بالبضائع المختلفة ويضعون فوقها طبقة من الملح. ولأن الملح بالتركية اسمه –طظ– فقد ركب المصريون جملتهم الخالدة"طظ يا عاشور" يقولها أحدهم وهو يتجه بحمله إلى الجابي الغليظ:

طظ يا عاشور..!!

فيقول الجابي التركي: آمان آمان ... عدى أفندم.

* * *

"سيادتك" عمري

كانت الأغنية الشهيرة –أنت عمري– هي اللقاء الأول بين عبد الوهاب الذي تحوّل إلى ملحن –بفعل السن– بعد أن نافس أم كلثوم كمطرب ما يقرب من أربعين عامًا، كان خلالها أعظم مطرب عربي في العصر الحديث. وكان هذا اللقاء الذي تم بناءً على رغبة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد حظى بضجة إعلامية لم يحظ بها مشروع السد العالي نفسه! وقد أطلق المرحوم جليل البنداري على هذا اللقاء مجموعة من الأوصاف والأسماء كان أهمها (لقاء السحاب).

وكانت ليلة إذاعة هذه الأغنية للمرة الأولى مهرجانًا عربيًا للفرح ... حتى أن إذاعة صوت العرب بقيادة أحمد سعيد الشهير نزلت بميكروفوناتها إلى الشارع عقب انتهاء الأغنية تسأل الناس عن رأيهم في هذا الإنجاز الحضاري، الذي لا يقل –إن لم يزد– على تحرير بيت المقدس على يد الناصر صلاح الدين!

وفي خضم هذه الحمّى الإعلامية لم ينس الشعب المصري نفسه ولم ينسحق كما أريد له يومها ... فأطلق مجموعة من النكات كانت أهمها في رأيي النكتة التي تقول:

"أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يسهر في بيته أثناء إذاعة حفلة أم كلثوم مع مجموعة من الوزراء، وبعد انتهاء الوصلة الأولى استغرقوا في عملية تخمين عن الأغنية التي سوف تقدمها أم كلثوم في الوصلة الثانية، واتصل الرئيس بأحد عناصر المخابرات الموجود بالحفل وقال له: اسأل أم كلثوم قول لها الريس عايز يعرف حتقولي إيه في الوصلة الثانية. فقال العنصر: ثواني يا فندم.

وبعد دقيقة واحدة جاء صوته في التليفون: ألو يا فندم ... حتغني"سيادتك عمرى" إن شاء الله ...!!

وفي هذه الأثناء قدمت أم كلثوم ثلاث أغنيات لثلاثة شعراء آخرين وثلاثة ملحنين ... ولكن ضجة أنت عمري الإعلامية أكلتهم جميعًا، مع أنهم فنيًا أحسن من"أنت عمري". وهذه الأغاني هي"هو صحيح الهوى غلاب" لبيرم التونس وزكريا أحمد و"للصبر حدود" لعبد الوهاب محمد ومحمد الموجي و"كل ليله وكل يوم" لمأمون الشناوي وبليغ حمدي. وكان بليغ حمدي أكثرهم تبرمًا من هذا الانحياز الإعلامي لعبد الوهاب وأغنيته –أنت عمري، وكان يرى أنها كُتبت خصيصًا لهذه المناسبة ويستشهد بالجزء الذي يقول في مطلعها:

اللي شفته قبل ما تشوفك عنيّه

عمر ضايع يحسبوه ازاى علىّ

أنت عمري اللى ابتدأ بنورك صباحه

على أساس أن الضمير هنا عائد على عبد الوهاب على لسان أم كلثوم!! وبليغ حمدي كما يقول سمير خفاجة"كان ماشي يدلدق مزيكة" ...

والبعض وأنا منهم يعتبره أخطر ملحن ظهر بعد سيد درويش والقصبجي ...

وكان الأخير رحمه الله يقول لأصدقائه المقربين:

– أنا مستني لما يموت عبد الوهاب عشان أقدم للشعب العربي عبقري الموسيقي العربية ...!!

لكنه مات قبل عبد الوهاب ... مات وهو في عمر الزهور كما يفعل العباقرة من قديم الزمان.

* * *

أم السيد عوض

من قصيدة للشاعر العزيز الراحل زكي عمر كتبها في أمه:

ما كانتش تحب اللون
الباهت
ما كانتش تحب المية الفاتره
وكانت
لما بتكره
تكره موت
وأما تحب
تحب صبابه
وأما بتحزن
تبقى ربابه
وأما بتفرح
يبقى الفرح على البوابه
كانت زي الشمس
وكانت
لما يتغضب
تبقى مهابه

رحمة الله وبركاته على شاعر الفلاحين زكي عمر الذي مات في الغربة خارج الوطن وترك أهله وأحباءه يعيشون الغربة داخل الوطن!

* * *

أدب الحديث

البرجوازية التي تحكم الوطن العربي وتتحكم في مصائر أهله، طبقة تخاف ماتختيشيش.

يعني مثلاً سنة ١٩٤٨ كانت بتقول ع الكيان الصهيوني"إسرائيل المزعومة" من باب السخرية ... لكن بمرور الوقت بدأت تغير نظرتها ولهجتها عندما تخاطب هذا الكيان العنصري فيقول بعض الرؤساء العرب عنه"الشعب الإسرائيلي"!

وكان السادات يقول عنه"الشعب الإسرائيلي الصديق"!! ويسمى السفاح بيجن"صديقي مناحم" من باب الاحترام والإعتزاز ... وبالأمس القريب ... وتعليقًا على المذابح الوحشية التي ترتكب ضد الشعب الفلسطيني وخصوصًا النساء والأطفال قال الدكتور فتحي سرور لرئيس مجلس الشعب المصري الهمام:

"إن الانتهاكات (يعني المذابح) التي تمارسها إسرائيل سوف تأخذ المنطقة إلى منزلق خطير! وأنا بصراحة تصورت أن"منزلق خطير" ده عبارة عن مصيف أو منطقة استشفاء أو سياحة أو شيء من هذا القبيل، أتاري المسألة أن ده من أنواع أدب الحديث!

شفتوا المنزلق الخطير اللي احنا بقينا فيه؟!!

* * *

مين بيحمى مين من مين؟

عندما عاد الكابتن أبو الكباتن محمود الجوهري من غزوته الفاشلة في"مالي" في حراسة الشرطة! لم يهز هذا المشهد بالطبع شعرة في بدن الكوتش المزمن ...

لكن بصراحة أنا اللي كنت ح أطرشق من هذا المشهد الاستفزازي، وفضلت أضرب أخماس في أسدادس وأقول:

– يا ترى يا هتلرى هل حرس المطار قاسمين معاه الوزة؟

لكني على الفور استبعدت هذا الخاطر الجنوني ... ولكن حل محله خاطر أكثر جنوناً لخصته في سؤال فني:

– هل انشيء جهاز الشرطة في مصر المحروسة من أجل حماية الناس من اللصوص والأفاقين ... أم أن العكس هو الصحيح؟

وحتى أتوصل إلى إجابة شافية على هذا السؤال ... لن أكف عن ترديد"حسبى الله ونعم الوكيل".

* * *

كنت في لبنان وطن المعجزات!

أي والله وطن المعجزات أو صانع المعجزات ... أو معجزة المعجزات ... فهذا الوطن المتناهي في الصغر والجمال هو نفسه هذا النمر العربي الذي أذاق الوحش الصهيوني المفترس وجع الهزيمة وعار الفرار!

كنت في لبنان ... فماذا أقول لكم عن لبنان؟

هناك في لبنان صبرا وشاتيلا وقانا وحزب الله والحركة الوطنية والسيد حسن نصر الله وفيروز الجميلة وطفلها العبقري الرائع زياد الرحباني ... هناك جنوب المقاتل العربي الصامد ... هناك بيروت التي انتصبت واقفة بعد الدمار الشامل لتنتزع الصدارة والريادة في الفكر والثقافة والإبداع لأن الحرب الأهلية الشرسة والطويلة التي انتزعت من الإنسان اللبناني بيته وأسرته وأحياناً روحه لكنها لم تستطع ولن تستطيع أن تنتزع منه عشقه للحرية واستقلال الرأي فيما يحدث حوله ... ليس في لبنان فقط وإنما في هذا الكوكب الذي نسكنه.

هذه هي التركيبة السحرية للإنسان اللبناني المسيحي والمسلم على حدٍ سواء ... ولهذا يقف لبنان الصغير –الكبير– وحده في وجه الهمجية الصهيونية والصلف الأمريكي ... ويقول بالعربي الفصيح"لا" ... بينما تهرول باقي القبائل من أقصى الوطن إلى أقصاه متسابقة في السجود المهين بين يدي السفاح الصهيوني والبلطجي الأمريكي لتنال بعض الرضا وفضلة الأمان.

* * *

مع العظماء والراحلين

صلاح جاهين –الطفل الإلهي متعدد المواهب– وصلاح منصور أحد أهرامات السينما المصرية الخالدين. وصلاح أبو سيف– الأستاذ رائد الواقعية وامتداد كمال سليم في السينما العربية – وسناء جميل العظيمة الرائعة وسعاد حسنى– هبة السماء وسندريلا الشاشة المصرية الجميلة– وغيرهم وغيرهم ... كل هؤلاء يحتويهم عمل فني واحد عظيم وفريد وهو فيلم –الزوجة الثانية– الذي أذاعه تليفزيون مصر العربية والناس نيام ... صبيحة يوم الاثنين ٢٤ يونيو سنة ٢٠٠٢، والسبب هو مرور عام على الرحيل المفاجئ والمشبوه لسندريلا السينما سعاد حسني ... وأنا لن أناقش هنا سوء اختيار موعد إذاعة الفيلم، فهذه بديهيات تعودناها من السادة القائمين على شئون الإعلام المصري حيال كل الأعمال العظيمة والقيمة، وكأنهم يعتبرونها –عورة– لا ينبغي أن يراها العامة خوفًا على الحياء العام ... أو كأنهم على رأي عم عيد الغفير (ولاد حرام ... لا بيرحموا ولا بيسيبوا رحمة ربنا تنزل).

والمسألة الجديرة بالاهتمام هي أنه منذ رحيل الكبار الذين صنعوا كلاسيكيات الفن المصري في الشعر والمسرح والموسيقي والسينما والغناء والفنون التشكيلية، لم تلد مصر المحروسة إلا أقزامًا..!!

تصوروا المشهد العام ... وكأننا في بلاد الإسكيمو!!

ويختتم الفيلم العظيم –الزوجة الثانية– صوت الشاعر الشعبي من خلال صندوق الدنيا:

دنيا وفيها من كل شيء

وكل مِن جاها مشى

رحمة الله وبركاته على مبدعينا العظام الراحلين.

* * *

إلى روح السندريلا الجميلة

خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
الزمن لو لوى بوزه مش هاتصفي وتهنا لك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك

لما توصل للقمه تلتقي زيطة ولمه
ولا لو كان ليك همه واشتكيت أي ملمة
الجميع هيقول مالك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
وأنت هايص في شبابك تلقى جانبك أحبابك
والجميع يبقوا أصحابك يطلبوا ود جنابك
والسؤال عن أحوالك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
ولا زملاءك في الكار وإنت عايش على الكفيار
يملوا بيتك ليل ونهار بدعي ليك بالاستقرار
والإله يبسطهالك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
طول ما حسك بيجلجل كله يجري ويتحنجل
كله يسهر وينفجل واللي طالب يستعجل
المزيد من أموالك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
أما لو عدى زمانك ولاّ حظك يوم خانك
شوف بقى فين إخوانك اللي عاشوا في أحضانك
والمصايب جيالك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
كله ها يفلسع ويروح ويسيبوك وحدك مدبوح
للأسى والبكى والنوح والخيانة ... أشد جروح
تتحسب في اللي
جرالك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
بس بختك لما تموت والحياة تخلص وتفوت
كله يرقعلك بالصوت والصور تطلع مظبوت
والجميع ينشر هالك
خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك
أما اسمك ... أكرم بيه أي شارع هانسميه

ولا شاعر زي كريه ربنا يفتحها عليه

والقصيد يكتبهالك

خلي بالك من زوزو خلي زوزو من بالك

الزمن لو لوى بوزه مش هاتصفي وتهنالك

* * *

فسحه الدورة

من وسائل التعذيب النفسي التي مارسوها علينا في سجون ومعتقلات مصر المحروسة ... وضعنا في زنازين لا تصلح لسكنى الحيوانات، مغلقه ٢٢ ساعة كل أربع وعشرين ساعة لا نخرج منها إلا نصف ساعة صباحاً ونصف ساعة مساءً من أجل قضاء الحاجة ...!!

وتسمى هذه الفترة الزمنية الخاطفة"فسحة الدورة". والدورة هي الـ دبليو سى" أو – عدم المؤاخذة –المرحاض أو الكنيف أو بيت الراحة أو محل الأدب ... إلى آخر هذه التسميات الشعبية لهذا المكان الضروري والخصوصي.

وإذا كانت الأنظمة البوليسية على امتداد الوطن العربي السعيد صاحبة تراث عريق في الإجرام ... فإن السلطة الوطنية بقيادة أبو عمار قد استحدثت كل ما هو جديد وعجيب من وسائل القمع ضد العناصر الوطنية في صفوف الشعب الفلسطيني. والمؤسف في الأمر أن ثمانين في المائة من حجم القمع الذي مارسته سلطة عرفات الوطنية على الوطنيين الفلسطينيين كان استرضاءً للسفاح شارون قاتل الأطفال والزهور!

ودارت الأيام، ومرت الأيام ... على رأى المرحوم مأمون الشناوي، وذاق الرئيس عرفات ما أذاقه العسس الوطني الفلسطيني لأشرف العناصر الوطنية، لا لشيء إلا لمجرد إثبات حسن النية للعدو الصهيوني مغتصب الأرض والعرض والتاريخ لعله يرضى!!

وليس عجيباً أن تزف الصحافة الرسمية للمواطن العربي بشرى السماح لعرفات بفسحة الدورة التي يستطيع من خلالها التجول في رام الله كما كنا نتجول في حوش السجن أثناء فسحة الدورة ... ولكن الكرم الصهيوني زاد على فسحة الدورة العربية أن سمح لعرفات بحضور مؤتمر القمة العربية في لبنان على شرط أن يحصل على إذن مكتوب من مكتب السفاح شارون!!

ليس عجيباً أن تنشر هذه الصحافة الصفراء المفلسة مثل هذا الهراء على أنه انتصار جديد لسياسة فرش الخدود التي تمارسها بعض الأنظمة العربية تحت أحذية اليهود والأمريكان ... ولكن العجيب بالفعل هو أننا مصممون على عقد ما يسمى بمؤتمرات القمة أثناء فسحة الدورة!!

***

الحارس الله

الموال الشعبي بيقول

لا باسهر ارتاح

لا بانعس يجيني نوم

ولا أكل بآكل

ولا لي جلد ع الصوم!

وده لسان حال عاشق صبابة جت له –لطشة هوى– طيرت النوم من عينه وشحتفت قلبه وشقلبت حاله يا ولداه. ما بقاش عارف خالته من جوز عمته، وما بقاش عارف الـ"ألف من كوز الدرة" ... ولا" الحنة الفتلى ... بكام الرطل"!!

والكلام ده طبعاً كان زمان ... أيام ما كانت العروق فيها دم ... وكان الدم مش ميه، وكان الشرف قيمة وكان الوطن قرآن وإنجيل وزبور وتوراة. وكان العمر واحد والرب واحد، وابن يوم ما يعيش يومين، وتجري يا ابن آدم جري الوحوش غير رزقك يا ابن آدم لم تحوش.

دلوقتي خلاص ... تقول له: صباح الخير، يقول لك: بكام؟ تقول له: فلسطين؟ يقول لك: خلينا هنا! تقول له: انت مش عربي؟ يقول لك: أنا موافق على أي شيء يحدث في هذا الكون! تقول له: وانتماءك؟ يقول لك: وانت مالك! تقوله: أنا وأخويا على ابن عمي. يقول لك: وأنا وابن عمي على فيض الكريم!

أعمى بصر وبصيره ما بيشوفش غير الغرب مع أنه لو شرق شوية بنظره حيشوف العجب ... ملاحم بطولة وأنهار دم بتسقى ... بيارات الزيتون في فلسطين السليبة، الأطفال كل يوم في مواكب الشهداء والنسوان كل يوم بيولدوا شهداء من جديد!

الله عليك يا شعب فلسطين يا صانع الحياة في أصعب وأقسى الظروف ... يا صديق الخضرة في عالم متصحر من أقصاه إلى أقصاه ... المجد لك والنصر لك والموت والعار لأعداء الحياة ...

والحارس الله والصلاتو على النبي ... ...

* * *

شوف يا ابن والدي ...

شوف يا ابن والدي ... لو عايز الدنيا ماشية ازاي ورايحه فين وجاية منين؟ صدقني ارجع لتراثنا الموروث عن الأجداد والجدات والآباء والأمهات وانت تعرف رأسك من رجليك، وعدوك من حبيبك، وفين سكة السلامة وفين سكة الندامة وفين سكة اللي يروح ما يرجعش!

يعني على سبيل المثال فيه مثل قديم بيقول:"ميموتش حق ووراه مطالب" ... وأنا افتكرت المثل ده وأنا باتابع كل يوم ... لأ كل ساعة ... لأ كل لحظة أخبار الملاحم الأسطورية اللي بيصنعها الشعب الفلسطيني العظيم وبيسطر صفحاتها المجيدة بمداد من دماء أبنائه الشهداء ... أطفال ونساء وشيوخ وشباب وفي نفس الوقت باتابع بفرح وشماتة ردود أفعال العالم المتواطئ، وهو غارق في الذهول والاندهاش وسبحانه مغيّر الأحوال. يعني مثلاً بعد هزيمة الجيوش العربية مجتمعة سنة ١٩٤٨ على يد عصابات الهاجناه وشتيرن الصهيونية تحولت قضية فلسطين المسلوبة إلى قضية إنسانية وتحول الشعب الفلسطيني إلى مجموعة من اللاجئين الغلابة"يا عيني" الذين يستحقون المساعدة الإنسانية وتحول الزعماء العرب المهزومين سنة ١٩٤٨ إلى أحلام وأبطال على شاكلة الناصر صلاح الدين الأيوبي محرر بيت المقدس في قديم الزمان ... وتاجر الجميع بالقضية الفلسطينية التي أصبحت سبوبة تجلب المصاري والأضواء الإعلامية.

وانزوى صاحب الأرض والجرح في مخيمات متناثرة في بعض الدول العربية الشقيقة ... ونام على الضيم في هذه المخيمات وتطوع بعض الجواسيس والمتقاعسين والمنافقين من الأشقاء العرب بترويج أكذوبة أن الفلسطينيين هم اللذين باعوا أرضهم لليهود وقبضوا الثمن!! فتصور اللص أن الأمر قد انتهى وحان الوقت ليهنأ بسرقته وينعم بنهيبته. وبلغت الغفلة بالسفاح المجنون"أرييل شارون" أن يتحدى مشاعر العرب والمسلمين بتدنيس المسجد الأقصى واقتحامه. وحسناً فعل ... فقد اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة على أثر جريمته الحمقاء، هذه الانتفاضة التي لن تتوقف إلا بالانتصار بإذن الله ومشيئته ... تصديقًا لقوله تعالى في كتابه المُنْزل"وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين"صدق الله العظيم.

* * *

منتهى التكريم

في إطار مسلسل"تكريم الرموز" الذي تمارسه أجهزة ومؤسسات الدولة –المفلسة– قامت أجهزة الأمن بإلقاء القبض على"شهدى" ابن الشاعر الراحل نجيب سرور ... ووُجِهت إليه مجموعة اتهامات كان على رأسها –بالطبع– الإساءة لسمعة مصر في الخارج.

ونجيب سرور هو الشاعر والمؤلف والممثل والمخرج المسرحي العظيم الذي ظلم حيًّا وميتاً لأسبابٍ ليست معلومة حتى كتابة هذه السطور ... فالبعض يقول أن مشروعه"المسرح الشعبي" هو الذي فتح عليه النار من مافيا المسرح المصري بقاطعيه الخاص والعام.

والبعض يقول بأنه ليس حالة خاصة ... بل هو جزء من كل المبدعين الذين تعرضوا للقمع والاضطهاد من قبل أجهزة الأمن الناصرية بقيادة"صلاح نصر" و"حسن المصيلحي" و"حمزة البسيوني" ... إلى آخر هذه القائمة الملعونة من الجلادين وقتلة الزهور.

على أي حال ورغم ما تعرض له نجيب سرور من اضطهاد في حياته فإنه لم يرحل عن دنيانا دون أن يترك أثراً يذكر، بل ترك تراثاً سوف يبقى ... هو مجموعة من النصوص المسرحية المستوحاة من الموروث الشعبي المصري منها (ياسين وبهية) و (آه يا ليل يا قمر) و (ومنين أجيب ناس) و (الكلمات المتقاطعة) و (الدبان الأزرق) ... إضافة إلى مجموعة من القصائد العامية والفصحي، التي غني منها الشيخ إمام –البحر بيضحك ليه– حلو المراكب ... ثم ديوان شعر بالفصحي بعنوان"برتوكولات حكماء ريش" ثم القصيدة"الجريمة" وهي واحدة من أروع وأخلد قصائد العامية المصرية ... والتي اختار لها الشاعر العظيم لغة الأدب المكشوف المعترف به في كل لغات العالم ما عدا لغتنا الجميلة: التي لم تحفل ولم تحتفل بآخر فرسان هذا الأدب الذي هو شاعر البؤس الخالد (عبد الحميد الديب) الذي عاش في مصر المحروسة، ومات دون أن يدري به أحد مع أنه أشعر وأفصح من كل شعراء عصره بمن فيهم الشاعر الملكي أحمد شوقي الشهير بـ (أمير الشعراء)!!

والقصيدة –الجريمة– هي بكل المقاييس نص مسرحي متكامل رغم أنف السادة الحريصين على سمعة مصر في الخارج، ووجودها على الإنترنت الزاخر بأفلام البورنو والصور الفاضحة ...!!

* * *

شعب"بلط" ...!!

الأخ العقيد الدكتور المهندس المليونير الكوماندا صاحب"سنسبرى" وخلافه عمرو النشرتي خلع يا رجاله.!!

واحد حيسألني: خلع بكام يعني؟

أقول له : لأ بسيطة ... خلع بربعميت مليون جنيه بس!

واحنا طبعًا عارفين أن المليون جنيه أصبحت مبلغ تافه، وممكن أي واحد يتشبرق به على رأي المثل.

واحد تاني حيسألني: وازاي خلع رغم صدور قرار منعه من السفر من مكتب النائب العام وعدد من الدوائر القضائية!؟

أقوله له أن مصدر أمني رفيع المستوى في مطار القاهرة حلف طلاق تلاتة (شافعي ومالكي وأبو حنيفة) أن المذكور ما هرب ناحية المطار ... و"روحوا بقى شوفوه خلع من أنهى داهية تاخده وتاخدكم" ...!!

ثم بادرت مصلحة الموانئ والمنائر بالتنصل من مسئولية هروب المذكور عن طريق البحر! وكان –واجب برضه– سؤال مصلحة المجاري ... إذ ربما يكون طلع من المواسير؟

عمومًا أنا مش كاتب الكلام ده عشان أضايق حد ... لأن ما حدش عاد بيتضايق، فقد تحوّلنا بحمد الله إلى شعب (بلط) ما يحوقش فيه ولا ضرب الرصاص ... وأصبح الشعار القومي للمرحلة"شد اللحاف وناااام".

* * *

قاسم حداد

في العام الماضي سافرت إلى البحرين بدعوة كريمة من جمعية نهضة فتاة البحرين ... وهناك التقيت بالفنانة المصرية الكبيرة عطيات عوض الشهيرة بـ عطيات الأبنودي – نسبة إلى زوجها الأول – أو عطيات حصان الطين– نسبة إلى فيلمها التسجيلي الأول الرائع.

وقد أدهشت عطيات الأشقاء البحارنة بعرض مجموعة من أفلامها التسجيلية الجميلة التي كان لي حظ وشرف مشاهدة بعضها، وحين عرفت أن هذه الزيارة لعطيات ليست الأولى لهذا القطر الشقيق سألتها عن قاسم حداد شاعر البحرين الكبير، وهل هو في السجن كعادته ... أم أنه مطلق السراح؟ فلم أحظ منها بجوابٍ شافٍ.

وقاسم حداد شاعر تجسدت فيه روح الأمة فغني آلامها وأحلامها وعشق فقراءها فغناهم ... ودفع الثمن في الوقت الذي غني غيره من الشعراء لسلاطين النفط وقبض الثمن!

والبحرين تقع جغرافيًا في منطقة الخليج ... ولكنها سياسيًّا ليست كذلك. وإذا كانت الحركة السياسية في أي بلد من بلدان العالم تقاس بنضج الحركة العمالية فيها فإن البحرين في هذا المجال تأتي في مقدمة الدول العربية جميعها! لقد شهد هذا البلد الصغير الجميل أول إضراب عمالي سنة ١٩١٩ متزامنًا مع ثورة سنة ١٩١٩ العظمي في مصر ... التي وصفها المهاتما غاندي بـ"الدرس الأول لكل الشعوب المضطهدة والأوطان المحتلة" ... مؤكدًا أن الحركة الوطنية في القارة الهندية قد تعلمت منها الكثير.!!

وأثناء انتظاري خارج قاعة العرض السينمائي – في ليلة عطيات– أقبل علينا بعض الأشقاء البحارنة للترحيب بنا. وفجأة ابتسمت عطيات لأحدهم بمودة وهي تقول لي:

– عارف مين ده؟

أجبت على الفور:

– قاسم حداد

واندفعنا فتعانقنا طويلاً.. ولم نتكلم ... ولكن العيون التقت وقالت الكثير في لحظات!

وانتهت الزيارة للبحرين ... وعدت إلى القاهرة دون أن التقى ثانية بقاسم حداد، وكأنه مكتوب علينا نحن العشاق دائمًا أن نلتقى لكي نفترق وليس العكس!

وفي يوم الأربعاء السادس من مارس سنة ٢٠٠٢ صدرت جريدة الأهرام القاهرية وبها الملحق المجاني (كتاب في جريدة) ويحوي مختارات من شعر قاسم حداد فارس البحرين وشاعرها العظيم الذي يقدم نفسه بمنتهي البساطة هكذا:

أن أختلف مع الجرح على أن أأتلف مع السكين

وفي قصيدة (عشاء المحبة) يقول قاسم حداد:

مائدتي مفتوحة لعابري السبيل
للصعاليك والزنج والخوارج
والدراويش واللصوص
والمتصوفة والقرامطة
والقراصنة
والذين يسألون
ويشكون
وليس لسيوفهم غرف
غير الصدور
كسيف

من الله جاء

إلى الله يذهب

والإبحار في عالم قاسم حداد الشاعر متاهة ممتعة يتمني المبحر فيها ألا يعود إلى الصحراء العربية الممتدة من الجغرافيا إلى التاريخ ومن القلوب إلى العقول.

* * *

شوف الحلاوة

أكدت تقارير الصندوق الدولي للتنمية الزراعية التابع للأمم المتحدة أن ثمانية وأربعين مليون مصري بالصلا على حضرة النبي يعيشون تحت خط الفقر!

يعني بالبلدي كده"تلتين" الشعب المصري مش لاقيين ياكلوا!!

يا سنة سوخة يا جدعان!

طب آمال إيه لزوم ثورة ١٩٥٢ اللي غيرت النظام السياسي في البلد وطردت الملك وألغت الألقاب وقبضت على الإقطاع وأممت المصانع والشركات والجوامع والكنايس والقهاوي والبارات، ودخلت بينا تلات حروب دفع تمنهم الفقير من دمه وقوت عياله، وفتحت السجون والمعتقلات لأشرف وأنجب وأنبل أبناء مصر لمجرد أنهم قالوا كلمة حق من باب الخوف على البلد ... وحلموا – خير اللهم اجعله خير– بالجنة الخضراء على شط بحر الهوي اللي هو نهر النيل العظيم!

خمسين سنة من التضحيات اللي ما يقدرش عليها شعب تاني غير شعب مصر المحروسة ...

خمسين سنة من الخوف والرعب والحلم والأمل والتعب والسهر والجوع والعطش ... وبعدين على رأي المثل (يصوم الغلبان ويفطر على بصلة)!

ثمانية وأربعين مليون بني آدم بيكملوا عشاهم نوم ... ولسه الدكتور عاطف عبيد بيتكلم بالمليارات وكأنه مش عايش في مصر!

أنا فاكر لمّا"السادات" حب ينقل تبعية مصر من روسيا لأمريكا ... وقال جملته المشهورة (وقفة مع الصديق) ... ولما قرر ياكل الوزة ويتخلص من دراويش عبد الناصر اللى سماهم مراكز القوى، وقال جملته الأشهر (وقفة مع النفس) واحنا دلوقتي وبعد مرور نصف قرن من الأوهام محتاجين لوقفة ... بس مش عارفين الوقفة دي حتبقي مع مين؟

مش كده برضه ... ولاّ أنا مخي لسع؟

كل خمسين سنة وانتو طيبين ...

* * *

إذا الدنيا كورت

العالم في العام الماضي كانت كل دماغه في الكورة ... أو على رأي الصديق الأديب مختار السويفي (إذا الناس كورت) ... فقد سحب مونديال كوريا واليابان سنة ٢٠٠٢ البساط من تحت أقدام كل الأحداث والشخصيات العالمية وتصدر المشهد الإنساني بلا منازع ... فاختفى مثلاً الرئيس المعجباني جورج دبليو بوش خلف قائد الفريق الفرنسي زين الدين زيدان الجزائري الأصل والمشهور عند الفرنسيين باسم"زيزو" الفرنساوي!

أما المشتبه به الأول"أسامة بن لادن" ... فقد أكله ريفالدو ساحر برشلونة الأسباني القادم من بلاد السامبا ليرقص وترقص خلفه أوروبا العجوز المتصابية حتى اللهاث.

أما أعجوبة هذا الزمان المدعو أبو عمار الشهير بالرئيس الفلسطيني ... فقد تلاشى تمامًا تاركًا مكانه للفتي الذهبي راؤول جونزاليس فاتن الأندلس الجميل وساحر النساء في وطن لوركا وفرانكو والنربادور وثيران المصارعة الشهداء!!

فإذا انعطفنا إلى الجنرال برويز مشرف الذي ابتليت به باكستان الشقيقية"على سهوه" فقد أخفته عنا رأس باتيستوتا الذهبية ... أما رونالدو طفل البرازيل المعجزة الذي طالت غيبته عن البساط الأخضر المستطيل بفعل عين الحسود فقد حجبت عودته الحميدة كل خطوط المشهد المأساوي الذي سبق بداية المونديال بفترة كئيبة بدأت في ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وإذا كان المونديال إلى جانب المتعة البصرية التي قدمها للعالم لم يفعل أكثر من إعفاء العالم من مشاهدة صورة السفاح الصهيوني أرييل شارون لاستحق أن يكون الحدث الأعظم والأجل في القرن الحادي والعشرين.

* * *

تكي لم تكي لم

تكي لم ... تكي لم ... تكي لم ... وسع يا جدع انت وهوّ ... بيبوو بيبوو، طريق للإسعاف يا مواطن ... بيب بيب بيب خمسة بيب بيب بيب تمانية وتسعين ...!!

هذا وما زالت مقار لجان امتحانات الثانوية العامة والعياذ بالله تفتح أبوابها ونوافذها على المصاريع تسهيلاً لرجال الإسعاف أثناء قيامهم بعمليات حمل وشحن وتفريغ جثث الضحايا من شابات وشباب مصر المحروسة الذين قذف بهم حظهم العاثر وسوء طالعهم إلى زمن الخوجة المملوكي حسين كامل بهاء الدين الذي لا يتوقف عن إطلاق التصريحات الوردية بينما يقوم زبانيته بذبح واغتيال بناتنا وأبنائنا داخل غرف الإعدام الشهيرة بلجان الامتحانات!!

ومنذ عشر سنوات تقريباً وهذه المذبحة البشعة تحدث بحذافيرها ... وفي كل عام يعتذر الخوجة الملوكي عما بدر من رجاله تجاه أبنائنا وبناتنا ... ويعد بتلافي هذا الخطأ في العام القادم، ونحن نصدق لأننا مغفلون بالسليقة ... وعلى رأي المثل"قالوا يا فرعون إيه فرعنك؟ قال مالقيتش حد يردني"

ويأتي العام التالي ... فنكشف أن زبانية الخوجة الملوكي حسين كامل بهاء الدين قد استحدثوا أساليب وطرق جديدة لسرعة ذبح الشباب أو تعذيبهم على أهون الفروض ...

وعام يجر عام ... ولجنة تجيب لجنة ... ويبقى الحال على ما هو عليه، وعلى المتضرر أن يخبط دماغه في الحيط أو يشرب من البحر ...

والسؤال الآن موجه للدكتور حسين كامل بهاء الدين الخوجه الملوكي: إنت تبع مين بالظبط؟؟!!

* * *

طظ فيهم ...

على غير العادة يكثف التليفزيون المصري احتفالاته بذكرى المولد النبوي الشريف في العامين الآخيرين ... بما معناه"طظ في إدارة الرئيس بوش"، الذي يقوم حربًا ضد الإسلام والمسلمين ... وأيضًا"طظ في السفاح المجنون أرييل شارون" الذي يصف المسلمين بالخنازير ويتعهد بالقضاء عليهم وتخليص العالم من شرورهم ورائحتهم النتنة!!

وعن نفسي ... أنا بصراحة ممكن دماغي يضرب في حركة نص كم زي دي ... ويبقى ذنبي في رقبة التلفزيون المصري ...!! ولذلك بقالي أسبوع ما بنامش وسهران أقول يا ترى يا هلترى ... ويشطح بي الخيال وأتصور أن التلفزيون المصري قرر إعلان الحرب على أمريكا وإسرائيل بعدما فاض بيه ونفذ صبره، وزي ما بيقول الإخوة النحاة بلغ السيل الزبى ... وأرجع تاني وأقول"طب قدّر ياد إن احنا أعلنا الحرب على أمريكا واحتليناها ... حناكل منين" ...؟؟ ما هي مسئولية برضه!!

وارجع تاني واقول في عقل بالي:"مش معقول ياد إن قيادات التلفزيون العاقلة الرزينة يبلغ بيها الجنان أنها تعلن الحرب على أمريكا وإسرائيل! طب ؟أمال إيه اللي أنا شايفه ده؟

وهل لو أعلنا الحرب على أمريكا وإسرائيل يقدر التلفزيون يذيع ماتشات الكورة في مصر وأوروبا؟

وقدّر إنه ما قدرش ... هل هانتفرج عليها في"الإيه آر تي" الشهير براديو وتليفزيون العرب ... ولا هوّ راخر حيخش معانا الحرب؟

وهل قناة الجزيرة حتبقى مع العرب ولا مع أمريكا؟

شفتوا اللخبطة اللى كلت دماغي؟

* * *

أستنكف أبصق عليك ...!!

على رأي عمنا هيرودوت الذي وصف مصرنا المحروسة بالشمعة المستقرة في قاع النيل وكلما أظلم العالم تطفو على السطح.

اللي كان يشوف ويسمع الخواجه الدموي المتواطئ جورج بوش الثاني في بداية الأزمة ما يشوفوش دلوقتي.!!

كلنا فاكرين في بداية اجتياح جيش الصهيونية للأراضي الفلسطينية، وكان سعادته في عزبته بيستجم ولابس الكاجوال ورافض يسمع أو يتكلم في موضوع المذابح النازيّة المنصوبة لأطفال ونساء وشيوخ الشعب الفلسطيني الأعزل ... وكان كل همه أنه يتفنن في إظهار الشماتة مقرونة بالتهديدات الإجرامية للشعب العراقي بأن الدور عليه ... ولا يمكن نسيان وجهه القبيح وابتسامته الصفراء وهو يقول لشارون: هذا يكفى ...!!

والغريب في الأمر أن أحداً في العالم لم ينبس ببنت شفه ... كلهم صمتوا وكلهم تواطئوا على أساس أن السفاح المحترف مجرم الحرب أرييل شارون سوف يجهز على الشعب الفلسطيني في ساعات ويخلّص العالم الحر من هذا"النزناز" ... وفعل جيش الاحتلال الصهيوني في أهلنا بالمخيمات ما لم يفعله أكبر مجرمي التاريخ. وانفجر الشارع العربي في مظاهرات الغضب العارم وحين تأكد عدم جدوى التفكير في السلاطين والملوك والرؤساء العرب بعد أن فقدوا مبررات وجودهم على العروش التي تجرى من تحتها الأنهار أخذت مجموعة من بنات فلسطين المبادرة وتولّت الرد على شارون وبوش وبلير وباقي هذه الشرذمة من مصاصي الدماء وقتلة الأطفال والزهور ... وتحولت زهرات البنفسج الفلسطيني إلى قنابل موقوتة أوقعت القتل والرعب في الصهاينة المغتصبين. وبدأ بوش الثاني يتحدث عن البعض الذي يعمل على إفشال مهمة السلام التي تضطلع بها إدارة الرئيس الأمريكى، وغيّر السفاح الناشئ توني بلير خطابه السياسي وبدأ يتحدث عن دولة فلسطينية إلى جانب الدولة اليهودية ... ثم توالى ارتفاع الأصوات في صحافة العالم الحر عن جرائم النازي التي ارتكبها مجرم الحرب شارون ضد أطفال وبنات المخيمات الفلسطينية ... وسعى كولن باول للقاء ياسر عرفات بعد أن تمنع كثيراً وتدلل وتعالى على الجنس العربى، وهذه هي اللغة التي فهمها العالم الحر.. لغة الزهرات المتفجرات.

أما أنت أيها العالم المتواطئ ... فأنا أستنكف أن أبصق عليك.!

إنت فين ...؟؟

– دورت عليك في اعتصام نقابة المحامين ما جتيش ليه؟

– وآجي ليه؟

– تيجي ليه ازاي ... هو أنا برضه اللي حاقولك؟ دحنا اتعلمنا منك المواقف دي.

– وياريتك بقى تتعلم منّي أن المواقف دي بقت موضة قديمة خلاص

– يا ااه ... دانت اتغيرت بقى

– فعلاً اتغيرت ... وكلنا لازم نتغير

– كلنا تقصد مين؟

– أقصد كل الفصائل الوطنية في مصر المحروسة

– وعايزهم يتغيروا بمناسبة إيه إن شاء الله؟

– بمناسبة إن العالم كله اتغير

– يعني نقبل باللي بيحصل في فلسطين ده ... وكده نبقى اتغيرنا؟

– أنا ماقلتش كده

– ما هو الواحد يستنتج كده من كلامك

– كلامي واضح ومش طالب استنتاج ولا تأويل

– بس أنا مش فاهم

– دي مشكلتك ... ولو ما اتغيرتش عمرك ما حتفهم

– طب فهمني يا أستاذ أبو العريف

– احنا ليه مصممين على أن تسعة وتسعين في المية من أوراق اللعبة في إيد أمريكا، مع أن الرئيس الأمريكي كان في منتهي الوضوح وهو بيقول عن السفاح شارون أنه رجل سلام؟ ليه مش عايزين نفهم أن أمريكا هي العدو الأول والأكبر للعرب والمسلمين ... إذا كانت أمريكا نفسها بتعلن ده على الملأ وبدون لف ولا دوران.

– طب واحنا نعمل إيه إذا كانت الأنظمة العربية مصلحتها في طاعة أمريكا وعدم إغضابها؟

– الحمد لله أديك قلتها بلسانك ... أمال بقى سيادتكم رايح تعتصم في نقابة المحامين وتضرب عن الطعام عشان تضغط على مين وفي سبيل إيه؟

– المقصود من الاعتصام ده هو إحراج الأنظمة العربية

– حنفترض إنها أحرجت وبعدين؟

– يعني على أقل تقدير يطردوا السفير الإسرائيلي ...!!

* * *

أخبار طازة ...

تنقل مراسلنا المحمول في أرجاء وطننا العربي السعيد بحثًا عن الحقيقة المرة ... ولكن هيهات، وبعد أن نال منه التعب عاد مكفهر الوجه سقيم الوجدان – على رأي المرحوم مصطفي كامل الذي لو لم يولد مصريًا لتمني أن يكون مصريًا.

وأثناء عودة المحمول عن طريق نفق الشهيد أحمد حمدي، سقط في كمين إدارة مكافحة المخدرات فرع الإسماعيلية ... وبعد عملية تفتيش مرهقة ومهينة في جميع مداخل ومخارج جسمه بحثًا عن البانجو عثر معه على شريط الأخبار التالية:

** في مبادرة ثورية ... اتصلت بعض عناصر المعارضة العراقية بالخارج بالمخابرات المركزية الأمريكية ليقدموا لها الدليل على تهريب كميات من الأسلحة الحديثة من بعض دول أوربا الشرقية عبر الأراضي السورية إلى العراق، استعدادًا لمواجهة الهجوم الأمريكي المحتمل حدوثه على الشعب العراقي قريبًا ... هذا وقد اثني مسئولو المخابرات المركزية على هذه العناصر ووصفوهم بالمواطنيين الشرفاء ... ووعدوهم خيرًا بعد التخلص من نظام صدام حسين بإذن واحد أحد.

** قرر العقيد معمر القذافي إعلان انسحابه من جامعة الدول العربية احتجاجًا على قبول المرحوم مؤتمر القمة العربي الأخير في بيروت للمبادرة السعودية التي تقدم بها الأمير عبد الله ولي عهد المملكة ... علمًا بأن الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمي كانت قد تقدمت بنفس هذه المبادرة في مؤتمر قمة سابق. فاشمعني يعني ... وبناء عليه باي باي جامعة الدول العربية. وعلى رأي المثل"ضربوا الأعور على عينه قال خسرانه خسرانه"..

باي باي قذافي ... باي باي عليكم ورحمة الله وبركاته.

** وافقت السلطة الفلسطينية على المبادرة الأمريكية بتسليم قتلة السفاح وزير السياحة الصهيوني في مقابل فك الحصار عن الرئيس عرفات ... علمًا بأن الرئيس عرفات" في الحصار زيه في فك الحصار"؟؟!! وقد وجه أحد عناصر الكمين سؤالاً لمراسلنا المحمول هذا نصه:

– تفتكر لو فكو الحصار عن الرئيس عرفات حيعمل إيه يعني؟

فأجاب المراسل:

– والله يا باشا أنا ما سألتوش ... لكن عمومًا ربنا بحق جاه المصطفي ينصر الإسلام على الفكرة

هذا ما زال مراسلنا رهن الحبس لاستكمال التحقيق!!

تحقيق في إيه ... الله أعلم.

* * *

باكستان Ú واللي هايجراله

يا عيني يا ولداه على الشعب الباكستاني واللي جرى له!

قعدنا نقر عليهم ونقول عندهم كنابل ذرية ... ونقول الدولة الإسلامية العظمى ... ونتغزل في الديقراطية اللى مغرّقاهم لدرجة وصول الست بناظير على بوتو إلى كرسي رئاسة الوزراء عن طريق الانتخابات التشريعية الحرة.

وأحيانًا كان الغزل يقلب بحقد لما نفتكر اللى كان عندنا قبل اثنين وخمسين ... ونقارن بينه وبين الهنا اللى مغرّق باكستان، وكانت المقارنة دايمًا تنتهى لصالح مصر قبل اثنين وخمسين ... فنفضل نعض بنان الندم ونقول بس آه لو ماكنش وآه لو كان ... وبعد اخد ورد وياترى وياهلترى نقول في نفس واحد:

"جتنا نيلة في حظنا الهباب"

ويقوم كل منهم لحال سبيله وهو بيقول في عقل باله:

"لو لم أولد مصريًّا لوددت لن أكون باكستانيًّا" ... على أساس أن كل البرابرة محمدات ... وكل المسلمين إخوات ... لكن على رأى المتنبي:

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

إذ وثب على كرسى السلطة الجنرال الحاج محمد برويز ... بحجة الانقاذ من الحكم الفاسد الذي دمر باكستان الوطن والموطن. شويتين وراح موضب استفهام!

وطبعًا احنا عارفين يعني إيه استفهام ...!! وقال سيادته بالفم المليان: والله إذا كان الشعب عايزني لمدة خمس سنوات فأنا ح أقعد خمس سنوات وأمرى لله ...

ويا عيني يا ولداه على الشعب الباكستاني الشقيق واللى حيجرى له.

تهمة لا نكتة

قناة الجزيرة متهمة من حكومة البحرين بأنها قناة صهيونية ... والسبب المعلن أن كاميرا قناة الجزيرة قامت بنقل مظاهرات الغضب الشعبية التي اجتاحت البحرين احتجاجًا على المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل والتواطؤ الأمريكي مع السفاح أرييل شارون قاتل الأطفال والزهور.

ولو كانت قناة الجزيرة صهيونية كما يتهمها البعض ... لكان أولى بها أن تصمت تجاه أي رد فعل شعبي غاضب في شتى أرجاء الوطن العرب، ماذا وإلا إذا كان القصد من هذا الاتهام هو إلصاق تهمة الديمقراطية بالكيان الصهيوني العنصري ... وهذا غير مستبعد في هذا المناخ الضبابي الملبد الذي يلف وطننا السعيد من أقصاه إلى أقصاه ...!!

هناك احتمال آخر مفاده أن حكومة البحرين السعيدة مازالت تعيش مناخ توزيع الاتهامات على كل من يختلف معنا في الرأي ... ذلك المناخ الذي أشاعه حكم الفرد وتسلط الأجهزة الأمنية الذي أدى بنا إلى كارثة قومية لا يجدى معها سوى الضحك الناتج عن شر البلية كما يقول المثل العربي القديم ... وهو يذكرني بالنكتة القديمة:

– مالك يا عبده؟

– مالي على الله

– أمال مقطع روحك ليه من البكا؟

– مش جمال عبد الناصر مات

– جمال عبد الناصر مين ؟

– رئيس الجمهورية يا جدع

– جمهورية إيه؟

– جمهورية إيه ... بتقول جمهورية إيه!!

– أيوه جمهورية إيه؟

– يا بني همّا لمّا طردوا فاروق عملوها جمهورية

– فاروق مين؟

– فاروق بن فؤاد

– يا حلاوة هوّ فؤاد خلف؟

بذمة النبي مش النكتة دي ... زي التهمة ذي ...؟!!

مجرد سؤال

لم يشأ المايسترو صالح سليم أن يرحل عن دنيانا دون أن يأخذ معه أعز ما يملك الفنان وهو حب الناس.

لقد كانت جنازة المواطن المصري صالح محمد سليم رئيس النادي الأهلي للرياضة البدنية استفتاءً حقيقيًا حول شعبية هذه الأسطورة المصرية التي صنعتها الجماهير العاشقة لفن وعظمة.

هذا اللاعب الفريد الذي حوّل البطل الرياضي إلى بطل قومي وشخصية عامة لا تقل إن لم تزد أهمية عن رئيس الوزراء على أقل تقدير. لقد زلزلني بشدة هدير المشيعين"لا إله إلا الله صالح سليم حبيب الله" ... وكانت المرحومة أمي تقول"اللي يحبه ربه يحبب فيه خلقه" ... الله يرحمك يا أمي ...!!

نعم رحل صالح سليم بعد حياة حافلة بالمجد والعطاء، وهذه نهاية كل كائن حي ... كل نفس ذائقة الموت، ولكن النموذج الذي قدمه هذا الراحل سيظل درسًا للأجيال القادمة ... وإجابة شديدة الوضوح عن السؤال الدائم الذي يقول: ما معني أن تعطي بلا مقابل وما جدوي هذا العطاء؟؟

ولقد أسعدني صوت العجوز المتحمس"حسام حسن" ... وهو يخرج عن الإجماع مقللاً من شأن الفقيد الراحل ومعطيًا نفسه الحجم الأكبر والشأن الأعظم من صالح سليم ...!! ولم يكن مصدر سعادتي هو موافقتي على إدعاءات العميد حسام حسن، ولكن خروج حسام حسن الشجاع على الإجماع أعطى الاستفتاء قيمة ومصداقية تفقدها كل استفتاءاتنا العربية.

سلام على المايسترو في مثواه الأخير ... وكل التمنيات لحسام حسن بطول البقاء والعطاء ... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

بكره نقعد على الحيطه
ونسمع الزيطه "مثل شعبي"

ومن نكد الدنيا على
الحر أن يرى عدواً له
ما من صداقته بد "أبو الطيب المتنبي"

اللهم افضحنا ولا تسترنا
حتى يتبين الخبيث
من الطيب "أبو اليزيد البسطامي"

ألحس مِسَنِّى وابات
مهنى
ولا كبابك اللى قتلني "فأر جعان وشريف"

الحجر الداير
لابد من لطه "مثل شعبى"

المجتمع زي الرصيف
وسخ وعايز يتكنس
فيه ناس بتعرق على الرغيف
وناس بتعرق من التنس "الشاعر"فؤاد قاعود"

يا بلدنا يا عجيبه
فيكي حاجة محيراني
تزرع القمح بصعوبة
يطلع القرع في ثواني "شريف المنياوي"
شيبتنى يا زمن
وأنا ما استحق الشيب
وخدت مني الحبايب
ولا اختشيت العيب "مطلع موال شعبي"

ولا خلقة ع الكوم
إلا أما شافت لها يوم "مثل شعبي"

يكاد المريب يقول
خدوني "حكمة عربية"

إيش تعمل الماشطة
في الوش العكر "مثل شعبي"

البضاعة البايرة تقول
نيني نيني
لما يجي الخايب
يشريني "المرحومـــة أمـــي ... والمقصـــود
بالخايب هو شخصي الضعيف"

كان أول وله آخر
والعبرة بالخواتيم "سنة الحياة"

تعاشر يا ابن آدم تعاشر
مسيرك يا ابن آدم تفارق "مثل شعبي

يا مصري وانت اللى هاممنى
من دون الكل
هزيل ويحسبك الجاهل
عيان بالسل
من دي الكيوف اللى تصبر
على كتر الذل
ونمت والعالم فايق
قوم بص وطل
شوف الشعوب واتغص ودوب
وارجع إنسان "بيرم التونسي من قصيدة الشرق"

رق الزجاج وراقت الخمر
وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر "من الشعر الصوفي"

تعالم يا طبابا شوفم
نوح العليل وابكاه
راجد صبابة وحابس
سمعته وابكاه
جال الطبيب يا عليل
مالكش عيش ع الدنيا
واللي ما يبكى علىّ
وأنا حي ع الدنيا
ساعة الممات
يوفر دمعته وابكاه "من موال قديم مصري"

غلبت اطبّع فيك
والطبع فيك غالب
وديل الكلب ما ينعدل
ولو علقوا فيه قالب "المرحومة أمي"

من خرج من داره
اتقل مقداره "مثل شعبي"

أدعى على ولدي
واكره اللى يقول آمين "أم مصرية"
من داداك داديه
واجعل عيالك عبيده
ومن عاداك عاديه
روحك ... ما هيّاش في إيده "أحمد بن عروس"

بره وجوه فرشت لك
وانت مايل وإيه يعدلك "أم زينب مراتي"

وحق من خلقك ونشاك
وصورك ستة في تسعة "مطلع قصيدة لسه هاكتبها"

قليل الأصل
عمّا فيا فصل
جنني "واحد أهبل زي حالاتي"

المخزوق يشتم السلطان "مثل شعبي"

إن كنت يا بن العرب
راجل فقير وضعيف
فوت الجواز للغني
واقعد وحيد ... وشريف
دي العفة غالية ولكن
تنشري برغيف
والفقر يرمي العفيف
في أوسخ الأوحال "بيرم التونسي من قصيدة: الفقر"

لو غيتك شهرتك
اعمل لها: طبال "فؤاد قاعود"
لو كان الفقر رجلاً لقتلته "علي بن ابي طالب"
إذا جاع أحد المسلمين ... "أبو ذر الغفاري"
فلا مال لأحد

السلعة البايرة تقول نبني نيني
لما يجي الخايب يشتريني "مثل شعبي"

ما حد خالى من الهم
حتى الحصا في الأراضي
لا له مصارين ولا دم
ولا هو من الهم فاضي "أحمد بن عروس"

من فعل الأيام
هجت السباع م الغاب
وحطوا واطي
لقليل المعرفة ... والغاب (الغبى) "مطلع موال شعبي"

ومن عملهم تجارته
يا خسارته "الله يرحمك يا أمي"

ما تستكترش الرفس
ع البغل النجس "مثل شعبي"

الإيد اللي ما قدرتش على قطعها
بوسها ... "مثل شعبي"

الحجر الداير ...
لابد عن لطه "مثل شعبي"

ثقيل قاللي صفني
قلت العفو يا جبل الجيوشي "من الشعر القديم"
لو الأسامي بتنشرا
كان الفقير سمَّى ابنه خرا "مثل شعبي مصري"

اطلبوا الخير من بطون شبعت ثم
جاعت
فإن الخير باقٍ فيها
ولا تطلبوا الخير من بطون جاعت ثم شبعت
فإن الشح باقٍ فيها "الإمام علي بن أبي طالب"

القانون ينص ... يا ربع ...
يا خمسينه "خليفة خلف خلف الله خلف خلاف
المحامي"

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا "أبو الطيب المتنبي"

يحيا الثبات على ... المبلغ "صحفي أرزقي من إياهم"

مكتوب على باب الجنة:
أنت حرام على البخيل والديوث" " حديث شريف"
من قبل ما أكتب
أنا عارف القول ضايع
والأجر بالتأكيد
ذاهب حسب الشايع
والشتم هايجيني مسوجر
من ولد صايع

مهما انكويت بالنار والزيت
برضك فنان "بيرم التونسي"

جاي منين يا غراب
قال له جاي من بلد القشطه
كان بان على منقارك "مثل شعبي"

اللى يصعب عليك ... يفقرك ...!!
يقول لك الطبيب دواك عندي
إذا ما جس كفك والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داء
يرد الموت ما قاسى النزاعا "عنترة بن شداد"

اللى إيدك مش في قفصه
ضربة تقطع نفسه
واللى إيدك مش في مقطفه
عفريت يلهفه "أمي عليها السلام"

إن الدراهم في الأماكن كلها
تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة
وهي السلاح لمن أراد قتالا "فيلسون من عصر العولمة"

* * *